أجاثا كريستي

لقاء في بغداد

Thy Came to Baghdad

1951 م

تأليف

أجاثا كريستى

دار الخلود
للنشر والتوزيع

اسم الكتاب: لقاء فى بغداد
تأليف: أجاثا كريستى
الناشر: دار الخلود للنشر والتوزيع
رقم الإيداع: 2014 / 2769
الترقيم الدولى: 5 - 020 - 758 - 977 - 978

الإشراف العام: وائل سمير

جميع الحقوق محفوظة لدار الخلود للنشر والتوزيع وغير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد أو تسجيله على أي نحو بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر.

جميع الحقوق محفوظة

دار الخلود
للنشر والتوزيع

٤٢ سوق الكتاب الجديد بالعتبة - القاهرة
محمول: ٠١٢٨١٦٠٧١٨٥ محمول: ٠٠٢٠١٠٦٣٥٣٩٩٠٩
فاكس: ٢٥٠٦٩٥٨٢
E-Mail: DAR_AlKHOLOUD@YAHOO.COM

إجتماع في بغداد



غادر الكبتن كروسبي مبني البنك وعلي وجهه من دلائل الارتياح مايبدو علي وجه رجل صرف لتوه شيكا بمبلغ كبير، واكتشف في ذات الوقت أن له رصيدا أكبر مما كان يظن.

كان قصير القامة أحمر الوجه، مشوش الشاربين، عسكري المظهر، يؤثر الثياب ذات اللون الصارخ ويحب النكتة الطريفة.. ولكنه كان الي جانب ذلك انسانا مهذبا ومحبوبا.

وسار الكابتن كروسبي في شارع أطلق عليه اسم (شارع البنك) لأنه يضم أكثر المؤسسات المصرفية في بغداد، وأحس علي الفور بالفارق بين الجو داخل البنك وخارجه.

ففي البنك، كان الهواء مكيفا والنور هادئا والسكون شاملا فيما عدا الآلات الكاتبة، أما الشارع فكان يسبح في أشعة الشمس المحرقة، ويعج بالمارة وقد أمتلأ جوه بالأتربة والغبار، وأختلط فيه ضجيج السيارات بصياح الباعة الجائلين رجالا ونساء وأطفالا، وهم يعرضون علي المارة بضائعهم من حلوي وبرتقال وموز وشفرات للحلاقة.

وكان الزحام شديدا، والشارع غاصا بالسيارات والعربات والحمير والمشاة. فراح الكابتن كروسبي يشق طريقه وسط الزحام، وتوقف لحظة ليبتاع جريدة من أحد باعة الصحف، ثم أنحدر في شارع الرشيد وهو الشارع الرئيسي الذي

يشق المدينة بمحاذاة نهر دجلة.. علي مدي أربعة أميال.

وفي الطريق، تمهل الكابتن كروسبي في سيره قليلا ليتصفح الجريدة. ثم واصل سيره، وبعد أن أجتاز نحو مائة متر، انحرف يمينا.. وسار في زقاق ضيق يؤدي الي فناء واسع وسط مبني كبير وانتهي الي باب في هذا الفناء عليه لافتة نحاسية، ففتح الباب ودخل، ووجد نفسه في غرفة أعدت لتكون مكتبا.

وقف لاستقباله شاب عراقي كان يكتب علي الآلة الكاتبة، وقال وعلي شفتيه ابتسامة ترحيب: طاب صباحك يا كابتن.. هل من خدمة نؤديها لك؟

- هل مستر داكن في مكتبه؟ حسنا.. انني أعرف الطريق.

وفتح بابا، وارتقي سلما، ومشي في دهليز طويل يحتاج الي النظافة. وطرق بابا في نهاية الدهليز، وسمع صوتا من الداخل يقول: أدخل.

ودخل الكابتن كروسبي غرفة فسيحة ليس بها من الأثاث سوي مكتب ضخم.. واريكة كبيرة، ومائدة عليها موقد وآنية مليئة بالماء.

وكان يجلس أمام المكتب رجل مهدل الثياب.. يبدو كانسان بائس أتلف حياته وأستسلم لمصيره تبادل الرجلان التحية، وقال داكن:

- هل عدت من كركوك؟

فأوما كروسبي برأسه علامة الايجاب، ثم انثني الي الباب فأغلقه بعناية.. وعندما عاد، بدأ أكثر تواضعا وأقل ثقة بنفسه مما كان عندما دخل، بينما اعتدل داكن في جلسته وبدا أكثر أهمية من زائره.

قال كروسبي: هل من جديد يا سيدي؟

- نعم. وكانت بين يدي داكن، حين دخل عليه كروسبي، رسالة بالشفرة يعالج حل رموزها، وما أن فرغ من ذلك حتي قال: سيعقد الاجتماع في بغداد.

وأشعل عود ثقاب، وأحرق الورقة التي سجل عليها ترجمة الرسالة، حتي اذا تحولت الي رماد فركها بأصابعه قائلا: لقد وقع اختيارهم علي بغداد في النهاية، وتقرر أن يعقد الاجتماع في العشرين من الشهر القادم. ومن واجبنا أن نعمل علي أن يظل مكان الاجتماع وموعده سرا لا يعلم به أحد.

- ان الناس في الشوارع يتناقلون هذا السر منذ ثلاثة أيام.

فابتسم داكن وقال: هذا صحيح.. فالأسرار في بلاد الشرق ملك للجميع.. ألا تري ذلك أيضا يا كروسبي؟

- نعم يا سيدي.. بل وأستطيع أن أضيف أن الأسرار لا وجود لها في الشرق أو غيره، وقد تبينت خلال الحرب أن صبي الحلاق في لندن يعرف من الأسرار أكثر مما تعرف القيادة العامة.

علي كل حال، اذا كان المؤتمر سيعقد في بغداد فلابد أن يعلم الناس بأمره قريبا.

- وهل تعتقد يا سيدي أنه سينجح؟

- اذا كان الغرض من المؤتمر هو استعراض العضلات، ومناقشة المبادىء والايديولجيات فمن المحقق أنه سيفشل، وسينتهي كغيره من المؤتمرات في جو من الريب والشكوك، ولكني أعتقد أن هذا المؤتمر سوف يختلف عن سابقيه.. بسبب ظهور عنصر طاريء.. ولو صحت القصة المذهلة التي رواها كار مايكل.

وكف عن الكلام فهتف كروسبي:

ـ لا يمكن أن تكون القصة صحيحة.. أنت نفسك قد وصفتها بأنها مذهلة.

فصمت داكن، ومرت بذهنه ذكريات لا يمكن لمثله أن ينساها.

وصوتا منزعجا يروي أمورا لا يصدقها العقل .. وتذكر تعقيبه هو حين قال: اما أن يكون أفضل جواسيسي قد أصابه مس من الجنون.. أو أن يكون قد قال الصدق.. وفي هذه الحالة..

واستطرد داكن يقول: كانت جميع القرائن تؤيد صدق رواية كارمايكل.. ولذلك أنطلق للبحث عن الأدلة التي تؤيد كلامه.. ولا أدري هل أخطأت أم أصبت حين سمحت له بالرحيل..

ـ ولكنه اذا عاد الي بغداد في اليوم العشرين من الشهر القادم.. وأعاد رواية قصته، وقدم الأدلة.

- الادلة؟ نعم.. الادلة.. لقد حصل عليها.

- وكيف علمت؟

- لقد حمل الي (صلاح حسن) الرسالة المتفق عليها بيني وبين كارمايكل.. والرسالة هي (اجتاز الجمل الابيض ممر خيبر).

وصمت داكن لحظة ثم استطرد قائلا: أن معني هذه الرسالة أنه نجح في مهمته وحصل علي الأدلة، ولكن أولئك الذين يعنيهم الامر.. ويهمهم الا ينجح كارمايكل في اقامة الدليل. قد علموا بأمر رحيله، ومن المحقق أنهم يجدون الآن في أثره ليمنعوه من العودة.. سوف يكمنون له في الطريق، فاذا عجزوا عن الايقاع به، ترصدوه هنا في بغداد. وضربوا سياجا حول جميع السفارات والقنصليات للفتك به اذا حاول الاتصال بها.. أنظر.

وتناول عددا من الصحف المبعثرة فوق مكتبه وراح يقرأ عناوين بعض أنبائها: «اغتيال رجل انجليزي كان في رحلة بالسيارة من ايران الي العراق» «مصرع تاجر كردي في كمين بالجبل» «أحد جنود الحدود يقتل كرديا يدعي عبد الله حسان، يقال أنه كان يشتغل بالتهريب».. «العثور في طريق (رواندوز) علي جثة لشخص مجهول، ثبت فيما بعد أنها لسائق سيارة أرمني».. ومما يلفت النظر أن أوصاف جميع الضحايا في هذه الحوادث تنطبق علي أوصاف كارمايكل.

أنهم يريدون تدميره، ولا يتورعون عن تدمير أي شخص يرتابون في أنه قد يكون كارمايكل. ومتي وصل كارمايكل الي العراق. فأن الخطر عليه سيكون أشد، وسوف يتعين عليه أن يحذر جميع الناس، من موظفي المطار والجمارك الي خدم القنصليات والفنادق. لان الحلقة ستضيق حوله وسيحاصر من كل جانب.

فقال كروسبي في دهشة: أتعتقد ذلك حقا يا سيدي؟

- نعم، والادهي من ذلك أن بعض أسرارنا نحن قد تسربت، حتي أصبحت أشك في جدوي الاجراءات التي أتخذناها لحماية كارمايكل عند عودته الي العراق.. اذ من يدرينا أن هذه الاجراءات لم تتسرب كذلك الي العدو؟ من يدرينا أنه لا يوجد في منظمتنا من يعمل لحساب أخرين؟ هل ترتاب في شخص بعينه؟

فهز داكن رأسه سلبا، وظهرت دلائل الارتياح علي وجه كرسبي..
قال: وهل من رأيك أن نمضي في طريقنا؟
- نعم. هل ثمة أنباء عن كروفتون لي؟
- أنه سيحضر الي بغداد.
وانصرف كروسبي، وظل داكن جالسا أمام مكتبه.. وغمغم قائلا بصوت خافت: لقاء في بغداد.
ثم تناول قلما.. ورسم دائرة علي ورقة أمامه، وكتب في وسط الدائرة كلمة (بغداد).. ثم رسم صورة جمل وطائرة وباخرة، وقطار.. وجميعها تتجه نحو وسط الدائرة.
ثم رسم في ركن الورقة صورة نسيج عنكبوت، وكتب تحته هذا الاسم: (هيلين شيل).. ثم رسم تحت هذا كله علامة استفهام كبيرة.
وبعد لحظة، تناول قبعته، وغادر مكتبه.
وفي شارع رشيد، مر برجلين نظرا اليه بعد أن ابتعد عنهما وقال أحدهما: من هذا الرجل؟
فأجابه الآخر.
- أنه مستر داكن.. وهو يعمل في احدي شركات البترول.. رجل طيب، ولكنه كسول.. ولا أعلم اذا كان يسرف في الشراب حقا كما يقول البعض، ولكني واثق من أنه لا ولن يصلح لشيء.
- هل لديك التقرير الخاص باملاك كرجنهوف يا آنسة شيل؟
- نعم يا مستر مورجنتال.
وقدمت هيلين شيل التقرير الي رئيسها..
قال: أظن أنه مقنع؟
- أعتقد ذلك يا مستر مورجنتال.
- هل جاء شوارتز؟ - أنه في قاعة الانتظار.
- دعيهم يبعثون به الي.
فضغطت هيلين شيل أحد الازرار ثم قالت:

- هل أنت بحاجة الي يا مستر مورجنتال؟
- كلا.

فانصرفت هيلين شيل في هدوء.

كانت بلاتينية الشعر، لها عينان زرقاوان شاحبتان تتألقان وراء نظارة سميكة. ووجه دقيق القسمات ولكنه جامد لا يعبر عن شيء.. صفوة القول أنها لم تكن من الطراز الذي يفتن الرجال. وانها اذا كانت قد احتلت في عملها مركزا مرموقا.. فالفضل في ذلك لمواهبها.. لا لجمالها وجاذبيتها.. وكان أبرز مواهبها قوة ذاكرتها.. فهي لا تنسي اسما أو رقما.. ولا تحتاج إلي تسجيل تاريخ أو موعد، وكانت فضلا عن ذلك سريعة الخاطر، نشيطة، مطيعة.

وكان أوتو مورجنتال مدير عام بنك مورجنتال وبراون وشيبرك يعلم جيدا أن خدمات هيلين شيل لا تقوم بمال. كان مرتبها ضخما ولكنه كان علي استعداد لان يمنحها أية علاوة تطلبها.

ولم تكن هيلين شيل تعرف كل صغيرة وكبيرة عن أعماله فحسب، وانما كانت كذلك تعرف كل شيء عن حياته الخاصة: وقد استطلع رأيها في زوجته الثانية فنصحته بطلاقها.. بل وذكرت له بالتحديد المبلغ الذي سوف تقره المحكمة كنفقة لها.. وفعلت ذلك دون أن تبدي شفقة أو فضولا، ولم يدهش مورجنتال، فقد كان يعلم أنها نسيج وحدها، وانها لا تعرف شيئا من الاحاسيس التي تعتمل في نفوس الناس، فهي مجرد عقل جبار يعمل لمصلحة البنك بصفة عامة، ومصلحته هو شخصيا بصفة خاصة.

ولذلك دهش مستر مورجنتال أشد الدهشة حين قالت له هيلين وهو يهم بمغادرة المكتب أنها تريد أجازة لمدة ثلاثة أسابيع أعتبارا من يوم الثلاثاء التالي.. ولم يجد بدا من أن يقول لها أنه يتعذر عليه أجابتها الي ما تطلب.. ولكنها أجابت في هدوء:

- لا أظن ذلك يا مستر مورجنتال.. أن مس ويجات ستحل محلي وسأترك لها مذكراتي وأصدر اليها التعليمات اللازمة.

- هل تطلبين الاجازة لانك مريضة يا مس شيل.

كان يعلم أنه سؤال سخيف.. فان هيلين شيل لا يمكن أن تمرض.. أن الجراثيم نفسها تحترمها.

أجابت: كلا يا مستر مورجنتال، ولكني أريد السفر الي لندن لزيارة أختي.

- لزيارة أختك؟ هل لك أخت؟

لم يكن يعلم أن لها أختا.. ولم تحدثه هيلين عن هذه الاخت حتي عندما رافقته الي لندن في الخريف الماضي.

أجابت وهي تبتسم:

- نعم يا مستر مورجنتال.. وهي متزوجة من رجل انجليزي يعمل في المتحف البريطاني، وستجري لها جراحة خطيرة ويجب أن أكون علي مقربة منها.

وأدرك الرجل من لهجتها أن لا شيء يمكن أن يثنيها عن رغبتها في الرحيل فقال:

- مادام الامر كذلك فليس في استطاعتي أن أستبقيك. وكل ما أرجوه هو أن تعودي بسرعة، فالسوق المالية مضطربة الي أقصي حد بسبب توتر العلاقات بين المعسكرين الشرقي والغربي. حتي ليخشي أن تنشب الحرب في أية لحظة.. والواقع.. أنني أتصور أحيانا أن نشوب الحرب قد يكون هو الحل الوحيد.. أن أعصاب الناس تكاد أن تتمزق، وها هم يقولون أن مؤتمر قمة سيعقد قريبا في بغداد.. ألا يعلم الرئيس الامريكي أنه قد يذهب ضحية اعتداء في بغداد؟

- ستكون هناك حراسة قوية.. واجراءات أمن مشددة؟

- ومتي كانت اجراءات الامن حائلا دون اغتيال الساسة والزعماء؟ ان سفر الرئيس الامريكي الي بغداد هو الجنون بعينه.

ثم تنهد واستطرد قائلا:

- صحيح أننا نعيش في عالم مجنون.. مجنون.

***

كاتمة الأسرار



جلست فكتوريا جونز علي أحد مقاعد حديقة فيتز جيمس في لندن وراحت تستعرض ذكرياتها وامتلأ قلبها حزنا..
أحزنها بصفة خاصة أن تلمس بنفسها مدي ما يمكن أن يتعرض له الانسان من متاعب اذا حاول ابراز مواهبه في وقت غير مناسب.

كان لفكتوريا، كما لجميع الناس، فضائلها وعيوبها.. فمن فضائلها أنها طيبة القلب، نشيطة. في عملها، شغوفة بالمغامرة، وقد تكون هذه الخصلة الاخيرة فضيلة.. ولكنها كذلك قد تكون عيبا، خاصة اذا كانت الظروف تحتم علي الانسان الحكيم الا يجازف بشيء محقق.. من أجل شيء مشكوك فيه.

علي أن أبرز عيوبها كان حبها للكذب.. فهي تكذب بكل سهولة وبساطة.. سواء أفادت من الكذب أو لم تفد، فاذا حدث مثلا أنها تأخرت عن موعد، فانها لا تقنع بأن تزعم أن ساعتها أصابها خلل، أو أنها انتظرت الاوتوبيس وقتا طويلا دون جدوي وانما تخترع قصة تنشط فيها مع خيالها الخصب فتزعم مثلا أن فيلا هرب من (السيرك) وعطل حركة المرور، أو أن عصابة مسلحة هاجمت متجرا تحت سمعها وبصرها.. وأنها شخصيا قد لعبت دورا في مساعدة الشرطة علي اعتقال أفراد العصابة.

كانت فارعة الطول ممشوقة القوام، لها ساقان بديعتان ووجه تتحرك عضلاته بسهولة ويسر مما يساعدها علي محاكاة الآخرين وتقليدهم ببراعة عجيبة.

وقد كانت هذه (الموهبة).. هي علة متاعبها الحالية.

كانت تعمل كاتبة اختزال في متجر جرينهرلز وسيمونز بشارع جريهولم. وقد أرادت في صباح ذلك اليوم أن تسري عن زملائها وزميلاتها في المكتب.. فلم تجد أفضل من تقليد زوجة جرينهولز حين تأتي لزيارة زوجها في مكتبه.

وكانت فكتوريا تعلم ان مستر جرينهولز قد ذهب لمقابلة محاميه، ولن يحضر قبل ساعة علي الاقل.. فانطلقت تحاكي زوجته وتقلد حركاتها وصوتها، ولكنتها الاجنبية التي لم تستطع التخلص منها رغم طول اقامتها في لندن.

راحت تقول: الا تريد أن تبتاع لي تلك الاريكة؟ أن لدي مسز ديفتاكس أريكة مثلها.. لا تزعم أن ليست لديك نقود.. أنك تجد النقود بسهولة لكي ترافق الشقراء الي المطاعم والمسارح.. هل تظن أنني لا أعلم؟ أنك تعود كل ليلة وعلي وجهك آثار أحمر الشفاة.. أنني أتركك مع شقراتك ولكني أريد الاريكة.. اتفقنا اذن.. ولا تنسي معطف الفراء الذي حدثتك عنه.. أنه ليس من الفراء الجيد علي كل حال.. ولكنه من حيث الثمن لقطة لا تعوض.

وعندما وصلت فكتوريا في محاكاة الزوجة الي هذا الحد، لاحظت أن زملاءها لا يصغون اليها. وأنهم قد كفوا عن الضحك وانصرفوا الي العمل بهمة ونشاط.. فاستولي عليها القلق ونظرت حولها لتجد نفسها وجها لوجه أمام مستر جرينهولز.

كان الرجل يتأملها في صمت، فافلتت من فمها آهة خافتة، ولم تجد ما تقوله، أما الرجل فانه مضي الي مكتبه دون أن ينطق بكلمة. ودق الجرس علي الفور، فأسرعت اليه والقلم والورق في يدها لكي تسجل تعليماته وسألته متظاهرة بالبراءة: هل دعوتني يا مستر جرينهولز؟

فوضع الرجل علي مكتبه ثلاث ورقات من فئة الجنيه وقال:

- اظن يا بنيتي الجميلة أنني رأيت ما فيه الكفاية.. وأنه ليس لديك مانع من تسلم أجر أسبوع والرحيل عنا دون أبطاء.

وهمت فكتوريا بأن تخترع قصة تبرر بها سلوكها، ولكن النظرة التي رأتها في عيني جرينهرلز أقنعتها بعدم جدوي أية محاولة في هذا السبيل، فعدلت عن

محاولتها، وقالت له وهي تبتسم أنها تعتقد أنه علي حق.

ودهش جرينهولز، فانه لم ير من قبل موظفا يتلقي نبأ فصله بمثل هذه البساطة، وحاول أن يخفي دهشته بالبحث في جيوبه عن بقية من نقود.

قال: لا زلت مدينا لك بتسعة بنسات.

فأجابت بلطف:

- لا بأس يا مستر جرينهولز.. تقبلها هدية مني اليك.

- سوف أبعث بها اليك.

- لا ضرورة لذلك. أن ما يهمني هو الحصول علي شهادة.

فقطب جرينهولز حاجبيه وقال مرددا: شهادة؟

- نعم. فكتب جرينهولز بضعة سطور علي ورقة تحمل اسم الشركة وقدمها اليها فقرأت فيها ما يلي:

«أشهد أن الآنسة فكتوريا جومنز عملت في مكتبي مدة شهرين بصفة كاتبة اختزال، وأنها لا تعرف الاختزال وتجهل الكتابة، وقد فصلت من العمل لأننا لا نستطيع الاحتفاظ بموظفة لا تؤدي أي عمل علي الاطلاق..».

قرأت فكتوريا هذه الكلمات وقلبت شفتها وقالت في هدوء:

- يخيل الي أن خطابات التوصية تكتب بأسلوب غير هذا.

- ولكني لم أقصد بهذه السطور أن تكون كتاب توصية.

- كان يجب علي الاقل أن تقول أنني لست سكيرة.. وأنني أمينة.. وهذه حقائق كما تعلم.. وحبذا لو أضفت كذلك أنني أكتم الاسرار.

- تكتمين الأسرار؟

فقابلت نظرته بجرأة، ولم يهتز لها هدب وقالت بصوت رقيق:

- نعم.. أكتم الأسرار.

فتذكر جرينهولز الرسائل المختلفة التي سبق أن أملاها علي فكتوريا. ورأي من الحكمة أن يرضخ، فتناول الشهادة ومزقها وكتب شهادة أخري قال فيها:

ـ «أشهد أن الآنسة فكتوريا جونز عملت عندي ككاتبة أختزال مدة

شهرين، وقد أضطرتنا ظروف العمل الي ضغط عدد الموظفين والاستغناء عن خدماتها».

وقدم لها الشهادة وهو يقول: ما قولك في هذه الصيغة؟

فقرأت الشهادة وهزت كتفيها، وقالت:

- ليست رائعة.. ولكني سأقنع بها.

استعرضت فكتوريا ظروف فصلها واقتنعت بأنها مؤسفة، ولكنها رفضت الاعتراف بأن فصلها كارثة.. لقد تخلصت من جرينهولز وشركته. وهذا أمر له قيمته. وليس ثمة ما يوحي بأن العمل الجديد الذي سوف تحصل عليه. لن يكون أفضل من العمل مع جرينهولز.

وحاولت أن تتناسي الموضوع، وأخرجت من حقيبتها شطيرتين كانت قد أعدتهما لغذائها.. وما أن أتت عليهما حتي رأت شابا يقترب منها ويجلس علي الطرف الاخر للمقعد الخشبي الذي كانت تجلس عليه.

نظرت اليه من ركن عينها ووجدته وسيما.

كان أشقر الشعر، أزرق العينين، له فك بارز يدل علي قوة الارادة.

ولم تكن فكتوريا تضيق بحديث الغرباء الذين تلتقي بهم في الأماكن العامة.

كانت تعلم أن في استطاعتها أن توقفهم عند حدهم عند الضرورة.

وكانت ابتسامة رقيقة منها كافية لتشجيع الشاب علي التحدث اليها.

قال:

ـ طاب يومك يا آنسة.. أنه يوم جميل. هل تأتين الي هنا دائما؟

- كل يوم تقريبا.

- هذه أول مرة أجيء فيها الي هذه الحديقة.. حقا أنني سيىء الحظ.. هل هذا الذي تتناولينه هو طعام غدائك؟

- نعم.

- أذن دعيني أقل لك أنك لا تتناولين طعاما كافيا.. ولو أنني حذوت حذوك لمت جوعا.. ما قولك في أن نتناول الغذاء في شارع توتنهام؟ أنني أعرف هناك

مطعما صغيرا.

فقاطعته:

ـ كلا.. شكرا لك.. حسبي ما تناولت.. أنني لا اشعر الان بالجوع.

وكانت تتوقع أن يقول لها: اذن فلتناول الطعام معا في يوم آخر.

ولكنه لم يفعل، وأنما قال: أنا أدعي أدوارد.. وأنت؟

- فكتوريا. - كاسم محطة فكتوريا؟

- بل كاسم الملكة فكتوريا. - واسم الاسرة؟

- جونز.

- واذن اسمك فكتوريا جونز.

وكرر الاسم مرتين ثم قلب شفته وقال: الاسمان غير متلائمين.

فقالت فكتوريا في حماسة.

- وهذا رأيي أيضا.. كان أفضل أن يكون اسمي جيني جونز.. أو أن يكون اللقب مركبا مثل ساكفيل ويست.. فكتوريا ساكفيل ويست.. اليس كذلك؟

- جربي لقبا آخر.

- بدفورد وجنز.

- أوكريستبروك جونز.

- أوسان كلير جونز.

وكان يمكن أن تستمر اللعبة أطول من ذلك لولا أن الشاب نظر الي ساعته وهتف قائلا:

ـ وكان يجب أن أذهب لمقابلة رئيسي المحبوب.. وأنت؟

- أنا عاطلة.. لقد فصلت من عملي اليوم.

فقال الشاب باخلاص.

- أنا آسف.

- أما أنا فغير آسفة.. أولا لأنني سرعان ما سأجد عملا.. وثانيا لأنني ضحكت كثيرا قبل أن أفصل وروت له قصة فصلها، وقلدت مسز جرينهولز، فاغرق

ادوارد في الضحك، ولما فرغت من قصتها قال لها أن مما يؤسف له أنها لم تشتغل بالتمثيل.. ورحبت فكتوريا بهذا الاطراء، ثم ذكرته بموعده مع رئيسه.. وحذرته من التأخير حتي لا يفقد وظيفته ويصبح عاطلا مثلها. فقال:

- صدقت.. خاصة وأنني لن أجد عملا آخر بسهولة مثلك.

ثم استطرد قائلا بعد لحظة: جميل أن يعرف الانسان الاختزال ويجيده.

- الواقع أنني لا أجيد الاختزال، ولكني من حسن الحظ أن كاتبات الاختزال، حتي الضعيفات منهن، يجدن دائما عملا بأجر لا بأس به.. وأنت ماذا تعمل؟ أراهن أنك اشتركت في الحرب.. وأنك عملت في سلاح الطيران.

- هذا صحيح.

- هل كنت قائد احدي طائرات المطاردة؟

- تماما، وقد وجدوا لي عملا بعد الحرب، ولكنهم لم يكفوا أنفسهم عناء البحث عما اذا كنت أصلح لهذا العمل أم لا.. إن قيادة الطائرات لا تحتاج الي ذكاء مفرط..

ـ ولكني الان تائه بين الملفات والارقام. وقد اكتشفت في النهاية أنني لا اكاد أصلح لشيء.. لكن دعينا من ذلك الان.. هل تسمحين لي..

وأحمر وجهه. ولم يتم عبارته، ورأت فكتوريا في يده آلة تصوير لم تلاحظها من قبل.

استطرد قائلا: هل تسمحين لي بالتقاط صورة لك؟ خاصة وأنني سأرحل غدا الي بغداد وقد.

فهتفت فكتوريا بمزيج من الدهشة وخيبة الأمل:

- الي بغداد؟

- نعم.. وأنا الآن آسف لذلك.. كنت صباح اليوم أكاد أطير فرحا بهذه الرحلة.. كنت تواقا الي مغادرة انجلترا في أسرع وقت.. ولذلك قبلت ما عرضوه علي.

- وماذا عرضوا عليك؟

- عرضوا علي عملا تافها لم أجد بدا من قبوله. ورئيسي في هذا العمل «الدكتور راتبون» رجل تحيط باسمه مجموعة من الالقاب الجامعية.. ولا هدف

له في الحياة الا نشر الثقافة.. فقد أنشأ مكتبات في بلاد لم يسمع عنها أحد. وترجم شكسبير وملتون الي اللغات العربية والتركية والفارسية والأرمنية.. صفوة القول أنه كرس حياته لنشر الثقافة الانجليزية.. فهو يؤدي تماما نفس المهمة التي يضطلع بها المجلس البريطاني.

- وماذا سيكون عملك معه بالضبط؟

- أنني أؤدي عمل السكرتير الخاص والوصيف فأجهز جوازات السفر، وأحجز التذاكر، وأتحقق من عدد الحقائب.. وأعتقد انني سأؤدي في بغداد نفس العمل.. وظيفة تافهة.. أليست كذلك؟

وكان ذلك هو رأي فكتوريا أيضا فصمتت ولم تجب.

وهز ادوارد كتفيه وقال وهو يبتسم:

- لقد نسينا موضوع الصورة.. هل لديك مانع من التقاط صورتين لك.. احداهما جانبية.. والثانية أمامية؟

لم يكن لديها مانع علي الاطلاق، فاعتدلت في جلستها، والتقط ادوارد الصورتين، وقال:

- مما يؤسف له حقا أن أضطر الي الرحيل بعد أن عرفتك.. كم أود أن أبقي.. ولكن ليس من اللائق أن أتخلي في آخر لحظة.. اليس كذلك؟

- نعم.. ثم أنك قد تجد العمل في بغداد أفضل مما تتوقع.

فهز رأسه وأجاب: لا أظن ذلك.. ثم أنه يخيل الي ان العملية كلها مثيرة للريبة؟ - أحقا تقول؟

- لا تسأليني عما يحملني علي هذا الظن.. أنه مجرد شعور، وسوف أدهش اذا وجدت انني كنت مخطئا.

- ومن الذي يثير ريبتك؟ الدكتور راتبون؟

- كلا.. كلا.. فهو رجل محترم وعضو في كثير من الجمعيات العلمية.. وعلي كل حال.. فان الامور سوف تتضح.. أظن أنني يجب أن أذهب الان.. مما يؤسف له أنك لا تستطيعين مرافقتي.

- كنت أود ذلك من كل قلبي.
- وماذا ستفعلين الآن؟
- سأبحث عن عمل.. سأذهب الان الي مكتب سان جيلد ريك بشارع (جوار).. فقد يرشدونني هناك الي عمل مناسب.
- الي اللقاء اذن.
- الي اللقاء يا ادوارد.. أرجو لك حظا سعيدا.
- أظن أنك لن تفكري في.
- تخطيء اذا ظننت ذلك.
- لكم تختلفين عمن عرفت من الفتيات! كنت أود لو وفي هذه اللحظة دقت أحدي الساعات نصفا فصاح:
- يجب أن أذهب فعلا.

وشيعته فكتوريا ببصرها حتي تواري.. ثم نهضت وغادرت الحديقة.. وسارت في الطريق الي شارع (جوار).

كانت قد اتخذت قرارين. أولهما أن تقترن بهذا الشاب الذي أحبته من أول نظرة والثاني أن تحاول السفر الي بغداد لتلتقي به هناك.

ولكن كيف تصل الي بغداد؟

هذه هي المشكلة التي يتعين عليها أن تجد لها حلا.

ولم تشعر باليأس، فقد كانت مطبوعة علي التفاؤل والجرأة والعناد.

***

استقبال حار



استقبلت هيلين شير في فندق سافوي استقبال العملاء المعروفين وسئلت عن صحة مستر مورجنتال وقيل لها ان الغرفة التي حجزت لها اذا لم تعجبها، فما عليها الا ان تقول ذلك لكي يعدوا لها غرفة أخري.

كانت هيلين شير في نظر ادارة الفندق تمثل الدولارات الأمريكية التي كانت بريطانيا في أشد الحاجة اليها. وصعدت هيلين الي غرفتها، واغتسلت واستبدلت ثيابها، واتصلت تليفونيا برقم في (كنسنجتون) ثم غادرت الفندق واستقلت سيارة أجرة انطلقت بها الي محل (كارتييه) تاجر المجوهرات المعروف في شارع (بوند).

وكان هناك عابر سبيل يتأمل المعروضات في احد المتاجر منذ وقت طويل، فلما راي هيلين شير تغادر الفندق. ألقي نظرة في ساعته ثم أشار الي سائق سيارة أجرة كان ينتظر علي مقربة فانطلق السائق بسيارته في أثر سيارة هيلين شير.

وتوقفت السيارتان أمام اشارة المرور عند مدخل ميدان (الطرف الأغر)، وأشار سائق السيارة الثانية بيده خلسة الي سيارة خاصة كانت تقف في شارع جانبي بمحاذاة أشارة المرور، فتحركت السيارة الخاصة، وسارت في أثر سيارتي الأجرة.

وبعد أن اجتازت سيارة هيلين شير ميدان الطرف الأغر، انحدرت يسارا في شارع (بول مول)، بينما انحرفت سيارة الأجرة الثانية نحو اليمين، وافسحت الطريق للسيارة الخاصة لكي تتعقب سيارة هيلين شير.

وكان بالسيارة الخاصة شخصان، شاب أشقر أمام عجلة القيادة. وفتاة أنيقة تجلس بجواره.

ومرت السيارة الخاصة بسرعة، وتجاوزت سيارة هيلين شير، وتوقفت في شارع (بوند) لحظة قصيرة ريثما هبطت منها الفتاة.

وأومأت الفتاة برأسها لقائد السيارة مودعة، ثم سارت علي أفريز الشارع، ودخلت محل كارتييه وبعد دقيقة أو دقيقتين، توقفت سيارة هيلين شيل أمام المحل.

ونقدت هيلين السائق أجره، ودخلت محل الجوهرجي وقضت بعض الوقت في انتقاء ما تريد ووقع اختيارها أخيرا علي ماسة جميلة وزمردة رائعة. دفعت ثمنها بتحويل (شيك) علي أحد بنوك لندن وما أن وقع نظر البائع علي التوقيع في ذلك التحويل، حتي برقت أسارير وجهه وقال: أهلا بك يا آنسة شيل.. هل جاء مستر مورجنتال الي لندن؟

- كلا.. انني أسأل عنه لأن لدينا في الوقت الحاضر مجموعة منقطعة النظير من أحجار الزمرد، وأنا أعلم مبلغ اهتمامه بهذا النوع من الأحجار الكريمة. هل يهمك أن تريها؟ - بغير شك.

ورأت مس شيل أحجار الزمرد وأعجبت بها ووعدت بأن تحدث مستر مورجنتال عنها.

أما الفتاة الأخري التي سبقت هيلين شيل الي المتجر فانها طلبت بعض الأقراط ثم قالت للبائعة أنها ستفكر في الأمر، وانصرفت في أثر هيلين شيل، وتبعتها الي متجر لبيع الزهور حيث طلبت هيلين باقة من الورود الحمراء وأخري من زهور البنفسج. وأمرت بارسالها الي عنوان ذكرته ثم سألت عن الثمن فقالت البائعة:

- اثنا عشر جنيها و٨١ شلنا.

فدفعت هيلين شيل هذا المبلغ وانصرفت، وتبعتها الفتاة الأخري التي قنعت بأن سألت عن ثمن باقة من زهور النرجس.

وانحدرت هيلين شيل في شارع (سافيل برو) دخلت محل أحد كبار

الخياطين، ورغم تخصص هذا المحل في صنع ملابس الرجال، الا أنه يصنع تييرات السيدات بصفة خاصة للعميلات الممتازات. ورحب بها صاحب المتجر، واتفق معها علي أن تكون التجربة الأولي بعد أسبوع، ومن ثم استقلت هيلين شيل أحدي سيارات الأجرة الي فندق سافوي. وتبعتها سيارة أخري يستقلها الشاب الأول الذي تعقبها بعد أن غادرت الفندق.. ولكنه غادر السيارة بعد قليل وقصد الي الباب الخلفي الخاص بخدم الفندق.. وهناك وجد امرأة في مقتبل العمر تسير جيئة وذهابا أمام الباب فسألها: هل فتشت الغرفة يا هورتنس؟

- نعم.. ولم أجد ما يستحق الذكر.

أما هيلين شيل فانها تناولت غداءها في مطعم الفندق ثم صعدت الي غرفتها. فوجدتها مرتبة منسقة.. واتجه بصرها علي الفور الي حقيبتيها.. وتفقدت محتويات الأولي بسرعة، وكنت قد تركتها مفتوحة. ثم انتقلت الي الثانية وفتحتها.

كان يبدو كأن شيئا فيها لم يمس.

مدت يدها.. وتناولت حافظة أوراق كانت بالحقيبة.. ونثرت عليها مسحوقا مما تستعمله في زينتها، ثم نفخت المسحوق وأمعنت النظر في غطاء الحافظة.. وابتسمت.

كانت قد أمسكت بالحافظة في الصباح ويدها لاتزال ملوثة بالدهون التي تستخدمها في زينتها وكان لابد أن يلتصق المسحوق بالبصمات التي تركتها أصابعها الملوثة بالدهون علي غطاء الحافظة.

ولكنها لم تر أثرا للبصمات.

قالت: لقد قاموا بعملهم بمهارة.. حتي بصمات أصابعي قد أزيلت.

وغادرت الغرفة والفندق، واستقلت سيارة أجرة ذهبت بها الي شارع ايلمسلي.

وأمام المنزل رقم ١٧، توقفت السيارة، وارتقت هيلين السلم الي الطابق الاول وقرعت جرسا.

وبعد قليل. فتح الباب، وأطلت منه سيدة في الحلقة الرابعة من عمرها،

ونظرت الي الزائر بارتياب ثم تهلل وجهها وهتفت قائلة.

- يا الهي!! أن ايلزا ستسر حين تراكي.. كانت واثقة من أنك سوف تحضرين.. اتبعيني.

وسارت هيلين في دهليز طويل انتهي بقاعة استقبال فخمة.

وفي أحد مقاعد القاعة، كانت تجلس امراة في مقتبل العمر، ما كادت تري هيلين حتي وثبت واقفة وهتفت: هيلين!

- ايلزا! وتعانقت المراتان. وقالت ايلزا.

لقد تم اعداد كل شيء.. وسأذهب مساء اليوم.. وأرجو.

فقاطعتها هيلين:

- اطمئني يا ايلزا.. أنا واثقة أن كل شيء سينتهي بخير.

تناول الرجل القصير القامة ذو المعطف الواقي من المطر سماعة أحد التليفونات العامة وأدار رقمها وسأل: شركة جراموفون (فالهالا)؟

- نعم.

- هنا ساندرز.. اليك تقرير عن هـ. ش، أنها وصلت من نيويورك صباح اليوم، وابتاعت ماسة وزمردة من محل كارتييه بمبلغ مائة وعشرين جنيها. ثم ذهبت الي جين (كينترت) بائعة الزهور وابتاعت باقتين بمبلغ اثني عشر جنيها و٨١ شلنا.، وأمرت بارسالهما الي احدي العيادات الطبية بميدان بورتلاند، وقصدت بعد ذلك الي محل (بولفورد) صانع الثياب في (سافيل رو)... حيث طلبت أن يصنعوا لها (تاييرا).. وليس ثمة ما يثير الريبة في المحلات التي ترددت عليها.. ولكن هذه المحلات ستوضع تحت الرقابة... وقد زرنا الغرفة التي تشغلها هـ. ش. بفندق سافوي.. لا شيء غير عادي.. وجدت في حافظة أوراق بحقيبتها تقارير خاصة بشركة (ولفنشتاين) ليس بينها ما يهم. كما وجدت آلة تصوير بها فيلم يبدو أنه جديد لم يستخدم ولكننا علي كل حال قد استبدلناه بفيلم مماثل.. بعد ذلك ذهبت هـ. ش. لزيارة أختها في المنزل رقم ٧١ بشارع (اينسلي).. وستنتقل أختها هذا المساء الي عيادة طبية في ميدان بورتلاند حيث

تجري لها جراحة.. سجلات العيادة الطبية تؤكد ذلك.. ليس في سلوك هـ. ش. ما يريب.. أنها لم تشعر بأن هناك من يتعقبها.. واذا كانت قد شعرت فانها لم تبد اهتماما.. من المحتمل ان تقضي هذه الليلة في العيادة.. وقد حجزت مكانا في الطائرة للعودة الي نيويورك يوم ٣٢.

وكف الرجل القصير القامة عن الكلام لحظة ثم استطرد قائلا:

- والرأي عندي أننا نضيع وقتنا سدي. وأن كل ما يلاحظ علي هـ. ش. هو أنها تنفق النقود بغير حساب.

***

مهما كلف الأمر



من الانصاف لفكتوريا جونز أن نقول أنها لم تفكر لحظة واحدة في امكان فشلها.. كانت واثقة أنها ستصل الي هدفها ان عاجلا أو آجلا.. صحيح أن من سوء الحظ أن الشاب الذي احبته من أول نظرة قد رحل الي بلد يبعد حوالي ثلاثة آلاف ميل حين كان يمكن أن يظل في لندن أو أن يرحل الي مكان قريب مثل بروكسل، الا أن ذلك لن يغير من الامر شيئا.. لانها صممت علي أن تلحق به حيثما يكون مهما كلفها الامر.

راحت تفكر في هدوء وهي تسير بخطي بطيئة في شارع توتنهام.

بغداد؟ ماذا ستفعل في بغداد؟.. لقد تحدث أدوارد عن علاقات ثقافية.. ولكن العلاقات الثقافية هي مهمة منظمة (اليونيسكو).. وهذه المنظمة لاتستخدم غير الفتيات الحاصلات علي مؤهلات جامعية.

اذن يجب أن تعمل بنظام. فذهبت أولا الي احدي شركات السياحة. وهناك علمت أن ليس ثمة أية صعوبة في الوصول الي بغداد، وأنها تستطيع السفر بالطائرة أو عن طريق البحر الي ميناء البصرة، أو أن تستقل القطار الي مرسيليا، ثم الباخرة الي بيروت علي أن تستأنف الرحلة بعد ذلك بالسيارة..

ـ ولكنها وجدت من الانسب ان تسافر بالطائرة للتخلص من متاعب الحصول علي التأشيرات، ولما كانت بغداد تقع في منطقه الاسترليني فلن تكون هناك صعوبات نقدية.

ولكن المهم. هو أن الرحلة، سواء بالطائرة أو سواها، كانت تتكلف بين ٦٠ و١٠٠ جنيه.. نقدا وذلك ما أزعج فكتوريا.. لانها لم تكن تملك في تلك اللحظة سوي ثلاثة جنيهات و٢١ شلنا.. عدا خمسة جنيهات في صندوق توفير البريد.

ومرت في طريقها باحدي شركات الطيران، وسألت عما اذا كانت الشركة بحاجة الي مضيفات وكان الجواب أن جميع الوظائف مشغولة. وأن لدي الشركة مئات من طلبات الاستخدام، وقد تمضي بضعة شهور قبل أن تطلب الشركة أصحابها لاختبارهم.

وقصدت فكتوريا الي مكتب التخديم الذي تعودت التعامل معه، وهو مكتب (سان جتريك)، فاستقبلها مسز سبنسر صاحبة المكتب بالابتسامة المرحة التي تدخرها عادة للفتيات اللائي يكثرن من التردد عليها.. وهتفت قائلة: أهذه أنت مس جونز؟ كنت أظن أن الوظيفة التي الحقتك بها اخيرا قد.

- أحقا؟ اذن دعينا منها.

- هل لديك عمل لي.

فراحت مس سبنسر تبحث في دفاترها.

قالت فكتوريا: أريد عملا في بغداد.

- في بغداد؟ ونظرت اليها مس سبنسر في دهشة فقالت فكتوريا:

- نعم.. أريد الذهاب الي بغداد. - وفي وظيفة سكرتيرة؟

- أن وجدت.. ولكن لا مانع لدي في أن أذهب كممرضة، أو طاهية.. أو مربية أطفال.. المهم أن أذهب الي بغداد.

فهزت مس سبنسر رأسها وقالت: لا أعتقد أن ثمة أمل.. بالامس طلبت الي احدي السيدات فتاة ترافق ابنتها الي استراليا.

- كلا.. أريد بغداد.. بحسبي أن أصل اليها.

ورأت في عيني مس سبنسر نظرة تساؤل فاستطردت قائلة:

- أن لي هناك أصدقاء، يستطيعون أن يهيئوا لي عملا بأجر كبير.

وعندما غادرت المكتب. ابتاعت احدي الجرائد وتصفحتها وخيل اليها أن

كل كلمة فيها تتحدث عن بغداد.. فالاستاذ بونسفوت جونز، عالم الآثار المشهور، يقوم ببعض الحفريات في منطقة (وريك) الاثرية علي بعد عشرين ميلا من بغداد.. ولوحة اعلانية تقول انه يمكن الوصول الي بغداد عن طريق البحر الي البصرة، ثم بالقطار الي بغداد والموصل الخ.. واعلان سينمائي عن فيلم (لص بغداد).. ونقد أدبي لكتاب ظهر حديثا بعنوان (هارون الرشيد خليفة بغداد).

وخيل لفكتوريا أن الدنيا كلها تتحدث عن بغداد. التي لم تثر اهتمامها هي الا منذ الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم.

وأحست بأنها لن تستطيع الوصول الي بغداد بسهولة، ولكنها مع ذلك لم تفقد الامل.

وفي المساء، قبل أن تذهب الي فراشها، سجلت الابواب التي يجب أن تطرقها للحصول علي عمل في بغداد علي النحو التالي:

نشر اعلان في الصحف عن طلب وظيفة في بغداد.

وزارة الخارجية. سفارة العراق.

الشركات التي تستورد التمر العراقي. شركات الملاحة.

وكانت تتوقع الفشل، فسجلت التساؤل التالي:

(كيف يمكن الحصول علي مائة جنيه؟).

استيقظت فكتوريا جونز في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي وأرتدت ثيابها علي عجل، وعندما همت بتصفيف شعرها. دق جرس التليفون، فتناولت السماعة.

كان المتحدث هو مس سبنسر.. كان صوتها يدل علي الانفعال.

هتفت قائلة: يا الهي!! كم أنا سعيدة بأنني وجدتك.. لقد حدثت مصادفة عجيبة حقا. - مصادفة؟

- نعم.. فان سيدة تدعي مسز هاملتون كليب تعتزم السفر الي بغداد بعد ثلاثة أيام وقد أصيبت بكسر في ذراعها وهي بحاجة الي فتاة ترافقها في رحلتها.. ولكني لا أعلم ما اذا كانت قد اتصلت بمكاتب تخديم أخري.

- سأذهب اليها علي الفور.. أين تقيم؟

- في فندق سافوي.
- تقولين ان أسمها مسز تريب؟
- كلا.. مسز هاملتون كليب.. أن زوجها هو الذي اتصل بي.
- أنت جوهرة.. سأذهب اليها في الحال.

وارتدت خير ما عندها من ثياب، وأعادت تصفيف شعرها لكي تبدو جادة رصينة.. وقبل أن تنصرف اعادت قراءة الشهادة التي كتبها لها مستر جرينهولز.. وهزت كتفيها.

واستقلت فكتوريا جونز الاتوبيس الي (جرين بارك).. وحانت منها التفاتة الي جريدة في يد راكبة تجلس بجوارها، ولمحت نبأ مفاده أن الليدي كاينثيا براد بوري أبحرت في اليوم السابق الي غرب أفريقيا.. فسجلت النبأ في ذهنها، وغادرت الاتوبيس وقصدت الي فندق ريتز، وهناك، في صالة الفندق وعلي ورقة تحمل اسمه.. كتبت كلمه أشادت فيها باخلاق فكتوريا جونز وعملها، ووقعتها باسم الليدي كاينثيا.

وبعد بضع دقائق، انطلقت الي فندق (بالدرتون)... وهو مكان يختلف اليه كبار رجال الكنيسة والارامل المسنات القادمات من الاقاليم، وهناك وعلي ورقة تحمل اسم الفندق، وبخط رصين يختلف تماما عن خط الليدي كانيثيا، كتب شهادة أخري أطرت فيها سلوك فكتوريا جونز ونسبتها الي أسقف (لانجو).

وتسلحت فيكتوريا بهاتين الشهادتين، واستقلت أتوبيسا آخر أوصلها علي مقربة من فندق سافوي. ودخلت الفندق بقدم ثابتة. وطلبت الي موظف الاستقبال ان يوصلها تليفونيا بمسز هاملتون كليب.

وهم الموظف باجابتها الي ما طلبت، ثم عاد ووضع السماعة وهو يقول: هو ذا مسز هاملتون كليب يغادر المصعد.

كان هاملتون كليب رجلا طويل القامة، أمريكي المظهر تنم قسمات وجهه عن الدعة وسعة الصدر فاقتربت منه وذكرت له اسمها، وقالت انها قادمة من لدن مكتب تخديم سان جتريك. فقال: حسنا يا آنسة جونز.. ان مسز كليب في

غرفتها وسأرافقك الآن اليها.

ولكني أعتقد أن فتاة أخري قد جاءت لمقابلتها لنفس الغرض.

اصفر لون فكتوريا. وأحست بالدنيا تدور من حولها.

تري هل ستفشل الآن بعد اذ أصبحت من هدفها قاب قوسين أو أدني؟؟

ورافقها هاملتون كليب الي الطابق الثالث. وسار معها في دهليز طويل.. وفجأة.. أحست أنها في حلم لا في يقظة.. فقد وقع بصرهاعلي فتاة مقبلة نحوهما خيل اليها للحظة قصيرة، أنها تشبهها كل الشبه.. ربما لأن الفتاة كانت ترتدي (تاييرا) أنيقا الي أقصي حد، طالما تمنت هي أن يكون لديها مثله.

ومرت بهما الفتاة.

بحيث تخفي جانبا من وجهها.

ويبدو أن مستر هاملتون كليب قد عرفها حالما مرت به، لأنه ما لبث أن أدار وجهه في أثرها وغمغم قائلا: هيلين شيل!! يا للشيطان!!

ـ من كان يظن أنني سأقابلها هنا.

ثم تحول الي فيكتوريا وقال:

- معذرة يا آنسة.. فقد أدهشني أن أجد هنا في لندن هذه الفتاة التي قابلتها في نيويورك منذ أقل من أسبوع.. أنها سكرتيرة أحد كبار الماليين الدوليين.

وتوقف هاملتون كليب أمام باب وطرقه.. ثم فتحه ودخل قبل أن يتلقي جوابا. ووقف جانبا ليسمح لفكتوريا بالدخول.

وكانت زوجته تجلس في مقعد كبير بالقرب من النافذة فنهضت لاستقبالهما.

كانت قصيرة القامة، ضيقة العينين، وقد عصبت ذراعها وشدته الي عنقها.

وقدم مستر هاملتون الفتاة الي زوجته فقالت هذه الأخيرة:

- أليس من سوء الحظ أن يحدث لي ما حدث يا مس جونز؟ ؟ كنت في طريقي الي العراق لزيارة ابنتي المتزوجة هناك والتي لم أرها منذ عامين، ثم خطر لي أن أشهد معالم لندن قبل الرحيل الي بغداد وبينما كنت أشاهد دير وستمنستر، زلت قدمي فكسرت ذراعي.. انني لا أتكلم كثيرا ولكني أشعر بعجزي

عن السفر، خاصة وان أعمال زوجي ستضطره الي البقاء في لندن ثلاثة أسابيع قبل أن يلحق بي.. وقد خطر لي أن أستخدم ممرضة ترافقني الي بغداد ثم تعود الي لندن توا.. لأنني لن أحتاج اليها فسوف أكون هناك في رعاية ابنتي وزوجها.

ولكني عدت ففكرت في أنني اذا لجأت الي مكاتب التخديم فقد أجد فتاة ترضي بمرافقتي لقاء أجر الرحلة.

فقالت فكتوريا في تواضع أنها لا تستطيع أن تعد نفسها ممرضة بالمعني المفهوم.. رغم أنها قامت بتمريض الليدي كانيثيا برادبوري طوال عام بأسره. وأرتها توقيع الليدي واستطردت قائلة:

- أما أعمال السكرتارية فانني أجيدها كل الاجادة وقد مارستها مع عمي أسقف (لانجو).

قالت ذلك في تواضع، وقدمت شهادة الأسقف فقالت مسز كليب وهي تدفع بالشهادتين الي زوجها:

- لا شك أن العناية الالهية قد أرسلتك الي يا بنيتي العزيزة.

فابتسمت فكتوريا في حياء واستطردت مسز كليب قائلة:

- هل تعرفين أحدا في بغداد يا مس جونز؟ أو هل في انتظارك وظيفة هناك؟

وبوغتت فكتوريا بهذا السؤال.. لم تكن قد فكرت في شيء آخر غير الشهادات.. فلم يخطر لها ببال أن تسأل عن سبب رغبتها في السفر إلي بغداد.

وجاء جوابها ذكياً، وجريئاً، وقائماً علي نبأ قرأته في إحدي الصحف في اليوم السابق.

قالت: الواقع أنني أريد اللحاق بعمي الدكتور بونسفوت جونز.

- عالم الآثار؟

- نعم.

وأدركت بعد فوات الوقت أنها قد نسبت نفسها إلي كثير من الأعمام المشهورين.. ولكن لم يكن بوسعها أن تتراجع.

قالت: إنني شديدة الاهتمام بعمله.. ولم أستطع الانضمام إلي بعثته.. بسبب قلة الاعتمادات المالية فقال مستر هاملتون:

- مما لا شك فيه أن أرض الجزيرة غنية بالآثار التي تثير اهتمام العلماء وفضولهم.

فالتفتت فكتوريا إلي الزوجة وقالت:

- أخشي أن يكون عمي الأسقف قد سافر إلي اسكتلندا.. ولكن يمكنك الاتصال بسكرتيرته في رقم ٣٩٦٧٩ للحصول علي كافة الاستعلامات بشأني.

- أظن أنني.

فقاطعها زوجها قائلاً: إن الوقت ضيق.. وستقلع الطائرة بعد غد.. هل لديك جواز سفر يا آنسة؟

- نعم.. وقد أحضرته معي.

- هذا أحسن.. هذا أحسن.. أنني أحب الأشخاص العمليين.. سوف تحتاجين إلي بعض التأشيرات.. وأعتقد أن صديقي برجسون الموظف بشركة أمريكان أكسبريس يستطيع إنجاز هذه المهمة ولكن يجب أن تمكثي معنا هنا.. فقد يحتاج برجسون إلي توقيعك.

فوعدت فكتوريا بالعودة في الساعة الرابعة.. وانطلقت بسرعة إلي شقتها، وجلست أمام آلة التليفون واستعدت لمحاكاة صوت سكرتيرة الأسقف فيما لو خطر لمسز كليب أن تستفسر عن الفتاة التي استخدمتها.

ولكن مسز كليب لم تتصل.

وفي مساء ذلك اليوم، كانت أوراق فكتوريا جونز استكملت تماماً.. وقضت الفتاة ليلتها الأخيرة في لندن في فندق سافوي.. لكي تعاون مسز كليب في حزم أمتعتها في الساعة السابعة من صباح اليوم التالي.

***

السر الخطير

كان التيار قوياً، فلم يجد عبدالله سليمان، الشيخ الذي قضي الأعوام العشرة الأخيرة في نقل المسافرين بقارب عبر «شط العرب» إلي البصرة، لم يجد ما يصنعه سوي أن يترك القارب للتيار، ويسبل أهدابه، ويترنم بإحدي الأغنيات بصوته الهادىء الحزين.

وكان القارب خالياً إلا من راكب واحد، يرتدي جلباباً طويلاً، و«جاكتة» صفراء ممزقة ويضع حول عنقه شملة «كوفية» حمراء.. وقد أخذ هذا الراكب ينظر إلي الماء دون أن يراه.. ويهمس بنفس الأغنية التي يترنم بها الشيخ.



كان وجهه يشبه وجوه كثيرين ممن يعيشون بين دجلة والفرات، بحيث يستحيل علي من ينظر إليه أن يتصور أنه إنجليزي لحماً ودماً، وأنه يطوي صدره علي سر خطير قد يكلفه حياته.

كان ينظر إلي الماء ولا يراه، لأنه كان مستغرقاً في التفكير.

راح يستعرض الماضي القريب، ويفكر في الكمائن التي نصبت له في الجبل، والأيام الأربعة التي قضاها هائماً علي وجهه في الصحراء والليالي التي قضاها في خيام أصدقائه القدامي، رجال قبيلة «العنايزة».. والأعداء الذين يترصدونه ليحولوا بينه وبين أداء مهمته.

لقد خيل اليه، أن كل إنسان صادفه في رحلته يعلم كل شيء عنه، ويعرف أنه هنري كارمايكل العميل البريطاني الذي يتكلم العربية والكردية والفارسية

والأرمنية والهندية والتركية ويجيد لهجات سكان الجبال، وله أصدقاء في جميع القبائل.

كان رؤساؤه قد تركوا له حرية العمل، فاختار من الطرق ما يكفل له أكبر قدر من الطمأنينة والسلامة.. وحرص علي كتمان خطته للوصول إلي بغداد، خاصة بعد أن تخلفت الطائرة التي كان مقرراً أن توافيه في مكان متفق عليه، مما أقنعه بأن أدق الأسرار يمكن أن تتسرب بطريقة غامضة تثير الريب في رؤسائه أنفسهم.

قال له البحار الشيخ: لقد اقتربنا يا بني.. كان الله معك.

- عد علي الفور يا أبتاه.. فلست أريد أن يصيبك مكروه.

- لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.. أن حياتي بين يدي الله.

وانحرف البحار الشيخ بقاربه.. وسار به متمهلا حتي بلغ ضفة النهر.. وهناك قال:

ـ لقد وصلنا.. وفقك الله وأطال بقاءك.

ووثب كارمايكل إلي الضفة.. وسرعان ما وجد نفسه في جو مألوف، وسط صبية يبيعون مختلف أنواع الفاكهة والحلوي، ورجال يروحون ويغدون في غير عجلة.

وفي الجانب الآخر من الشارع.. حيث الحوانيت والبنوك، كان عدد كبير من الأوروبيين، أكثرهم من الإنجليز، يشقون طريقهم وسط عدد أكبر من الوطنيين.

وسار كارمايكل ببطء.. دون أن ينظر يمنة أو يسرة، كمن لا يعنيه شيء مما يقع تحت بصره فعبر الجسر، ومشي في السوق، حيث الزحام والضوضاء.. وحيث يتدافع الناس ليشقوا لأنفسهم طريقاً.

وعلي الرغم من ثقته بأن أحداً في هذا الزحام لا يشعر بوجوده أو يقيم له وزناً.. فقد أحس عن يقين بأن هناك خطراً يحوم حوله.

لم يعرف لهذا الإحساس مصدراً أو سبباً، كان مطمئناً إلي أنه ليس هناك من يتعقبه أو يراقبه.. ومع ذلك فقد أحس بالخطر.. أحس به بغريزته التي قلما تخطيء.

انحدر في طريق جانبي ضيق، ثم انحرف يساراً، ووجد نفسه في فناء واسع

تحف به حوانيت تبيع مختلف البضائع.

ووقف أمام حانوت للفراء والأدوات الجلدية.. وكان صاحب الحانوت في تلك اللحظة يقدم القهوة لأحد زبائنه.. وهو شيخ مهيب الطلعة له لحية بيضاء.. وعلي رأسه طربوش تحيط به عمامة خضراء.

وأشار كارمايكل إلي أحد الفراء وسأل التاجر: بكم هذا؟

- بسبعة دنانير.

- هذا ثمن باهظ.

وقال الشيخ ذو اللحية البيضاء محدثا التاجر:

- هل ستبعث الي بالسجاجيد اليوم؟

- بغير شك.. هل سترحل غدا؟

- نعم.. سأذهب الي كربلاء.

فقال كارمايكل: كربلاء؟ أنها مسقط رأسي، ولكني لم أرها ولم أزر قبر الحسين منذ خمسة عشر عاما.

فقال التاجر: اذا كنت تريد فراء رخيص الثمن فعندي ضالتك.

- أريد فراء أبيض.

- أن مخزني مليء بالفراء الأبيض.

وأشار الي باب في آخر الحانوت يؤدي الي المخزن.

كان هذا الحديث عاديا ومألوفا في السوق كل يوم، ولكنه تضمن كلمتي السر المتفق عليهما (كربلاء) و (الفراء الابيض).

ورافق التاجر عميله إلي المخزن.. وهناك نظر كارمايكل إلي وجه التاجر لأول مرة.. واكتشف أنه ليس الوجه الذي كان يتوقع أن يراه.

كان شبيهه إلي درجة مذهلة.. ولكنه ليس هو.

سأل في دهشة:

ـ اذن أين صلاح حسن؟ لقد توفي أخي المسكين منذ ثلاثة شهور.. وأنا الذي حللت محله.

كان الشبه بين الاخوين واضحا، واذا كان أحدهما قد عمل في خدمة المخابرات البريطانية فليس ثمة ما يمنع الآخر من أن يحذو حذوه.. علي أن هذا الاحتمال لم يمنع كارمايكل من الاخذ بأسباب الحذر. وكان المخزن ضيقا، والاضاءة به ضعيفة، والبضائع مبعثرة فيه بغير نظام.

ورأي كارمايكل في وسط المخزن مائدة صغيرة عليها فراء أبيض. فرفع الفراء ووجد تحته بغيته ثوبا أوروبيا جيد الصنع، في أحد جيوبه نقودا وأوراق.. فتنفس الصعداء.

لقد دخل المتجر كعربي مجهول، ولكنه سيغادره بعد دقائق بصفته الجديدة كمستر ولتر ويليمز ممثل شركة كروس وشركاه، وكلاء الملاحة وأصحاب مكتب للاستيراد والتصدير.

ومستر ولتر ويليمز موجود فعلا، وهو من رجال الأعمال المعروفين في المدينة. ومرة أخري، تنهد كارمايكل بارتياح.. وراح يفحص الثوب الذي أعد له.

- ولو قد فكر أعداؤه في استخدام المسدس للتخلص منه، لأصبح في عداد الأموات في تلك اللحظة بالذات.. ولكنه من حسن حظه أنهم آثروا استخدام الخنجر.. ربما لأنه لا يحدث صوتا كالمسدس.

كان خنجر ذا نصل طويل مقوس.. في يد شخص تواري خلف الثياب المكدسة في المخزن.

ولم ير كارمايكل الخنجر أو الشخص.. ولكنه رأي بريق النصل منعكسا علي انية نحاسية لامعة موضوعة في أحد الأركان، ولو قد تريث لحظة لغاص النصل بين كتفيه..

ـ ولكنه استدار بسرعة البرق وأمسك بيد الرجل والقاه أرضا فأنفلت الخنجر من قبضة يده وطار بعيدا.

ولم يحفل كارمايكل بخصمه، وانما أطلق ساقيه للريح، وغادر المتجر مسرعا، ولم يتأن في مشيته الا عندما وجد نفسه بين المارة في السوق.

توقف مرة أو مرتين ليفحص قطعة من القماش، أو بعض أدوات القهوة..

ولكن ذهنه بدأ يعمل بسرعة.

لقد وجد نفسه مرة أخري، وحيدا وسط أعداء لا حصر لهم، يستطيعون أن ينالوه حتي في اللحظة التي يتوهم فيها أنه أصبح في مأمن من الأخطار.

تري هل استطاع العملاء الاجانب التسلل الي صفوف المخابرات البريطانية لكي تنكشف كل حركاته وسكناته علي هذا النحو المذهل؟.. ولكن ذلك لا يهم الان.. المهم هو أنه الان وحيدا. صفر اليدين. وليست لديه أية وسيلة للتنكر واخفاء شخصيته.. ولم ينظر وراءه.

اذ ما الفائدة؟ ان الذين يتعقبونه ليسوا سذجا.

وسار علي غير هدي.. الي ان وجد نفسه أخيرا خارج منطقة السوق، فعبر الجسر، وسار في الشارع المؤدي الي القنصلية البريطانية.

وكان من اليسير عليه أن يتسلل الي مبني القنصلية ولكنه تردد.

ان الفيران لا تجد صعوبة في دخول المصيدة.. ولكنها لا تعرف المصير الذي ينتظرها بعد الدخول.

كانت مخاطرة لا مفر منها.. فليس أمامه سبيل آخر.

***

تسلمت رسالتك



قبع ريتشارد بيكر في قاعة الانتظار بالقنصلية ريثما يفرغ القنصل لمقابلته.

كانت الباخرة الي استقلها الي البصرة قد وصلت في الموعد المقرر كما توقع.. وكانت النتيجة أنه وجد أمامه فترة فراغ تربو علي ثمان وأربعين ساعة قبل أن يتمكن من مواصلة رحلته عن طريق بغداد الي (التل الأسود).. مقر الحفريات التي يعمل فيها مع الدكتور بونسفوت جونز.

ولكنه كان يعرف كيف يستطيع قضاء هذه الثماني والأربعين ساعة.

كانت توجد في الجانب الآخر، بالقرب من الكويت، منطقة يقال أنها كانت مركزا للحضارة القديمة. فقرر أن يقوم برحلة سريعة اليها، للبحث والدراسة.

واستفسر في المطار عن أسرع السبل للوصول الي الكويت، فقيل له أن طائرة ستقلع الي الكويت في الساعة العاشرة صباحا، وأنه يستطيع العودة بها في اليوم التالي.. ولكن لابد لذلك من الحصول علي تأشيرة دخول من القنصلية البريطانية.

وتذكر بيكر أنه سبق أن أجتمع في ايران بمستر كلايتون الذي يشغل الآن منصب القنصل العام في البصرة فقرر أن يقابله.. وأرسل اليه بطاقته، وجاءه الخادم لينبئه بأن مستر كلايتون مشغول.. ولكنه سيستقبله بعد دقائق.. وقاده الي قاعة الانتظار تطل علي حديقة مترامية الأطراف.

وكان بالقاعة عدة أشخاص ينتظرون مقابلة القنصل العام، فألقي عليهم بيكر نظرة سريعة.. ثم راح يتأملهم واحدا بعد الآخر.

كان بينهم رجل عربي يرتدي جلبابا وجاكته صفراء وشملة حمراء وعقالا.. وفي يده مسبحة يحرك حباتها باصابعه.

ورجل انجليزي بدين، أبيض شعر الرأس والشاربين، يسجل أرقاما علي ورقة في يده.. ويبدو أنه يعمل مندوبا تجاريا.

ورجل أسمر البشرة.. تبدو عليه دلائل التعب.. ولعله كان سعيدا اذ وجد أخيرا مقعدا وثيرا يجلس عليه.

ثم رجل ايراني، يرتدي ثوبا ناصع البياض. وقد ظل العربي طوال الوقت يحرك حبات المسبحة حبة بعد أخري.

وفجأة.. أحس بيكر بأنَ صوت ارتطام كل حبة بالتي سبقتها يذكِره بشيء. شرطة.. نقطة.. شرطة.. نقطة..

أنها شفرة (مـورس) التي تستخدم في ارسـال البرقيات.. وقد تعلمها واستخدمها حين كان يعمل في الجيش ابان الحرب.

وأرهف أذنيه.. وراح يترجم الصوت إلي حروف.. ويؤلف من الحروف كلمات.. فحصل علي كلمتي: «البومة - أيتون».

البومة.. أنه الاسم الذي كان يطلق عليه في كلية ايتون.. لأنه كان يضع علي عينيه نظارة ضخمة ذات اطار كبير.

ونظر جيدا الي العربي.. ووجد انه لا يختلف عن عشرات العرب الذين يقابلهم الانسان في السوق.. وكانت عيناه تنظران بعيدا.. وليس في نظراته ما يوحي بأنه يعرفه.

واستمرت حبات المسبحة في نقراتها المنتظمة.. وترجم بيكر النقرات كما يلي: «أنا الفقير.. أنني أعتمد عليك».

وحار بيكر في الأمر.. الفقير؟ أي فقير؟ آه طبعا.. الفقير كارمايكل.. لقد أطلق عليه زملاؤه في الكلية هذا الاسم.. لأنه ولد وعاش في منطقة نائية.. لعلها تركستان أو أفغانستان.. أو الهند.. حيث توجد طائفة الفقراء.

وأخرج بيكر غليونه من جيبه، ونظر فيه، ثم راح يدق عليه بأصبعه كأنما ليزيل منه بقايا التبغ.

وكان معني هذه الدقات: «تسلمت رسالتك».

وكانت الأحداث التي وقعت بعد ذلك سريعة مذهلة.. الي حد أن ريتشارد بيكر لم يستطع فيما بعد أن يذكر تفصيلاتها تماما.. فقد نهض العربي من مكانه.. ومشي نحو الباب.. ولما أصبح أمام بيكر، زلت قدمه، فاستند علي هذا الأخير ليمنع نفسه من السقوط. ونطق بكلمة اعتذار وواصل سيره.

وفي ذات اللحظة، ترك الانجليزي البدين أوراقه، ودس يده في أحد جيوبه الداخلية بحركة سريعة لا تتفق مع بدانته، وأخرج مسدسا.

وبأسرع من لمح البصر، انقض عليه بيكر، وأهوي علي يده بقبضته، فسقط المسدس علي الارض وأنطلقت منه رصاصة سكنت الجدار.

أما العربي.. فأنه اختفي تماما.. أنطلق يعدو في الدهليز الموصل الي مكتب القنصل، ثم انحرف يسارا فوجد نفسه في الحديقة.. ووثب فوق السور، وتواري وسط الزحام.

وأقبل خادم القنصل مهرولا.. فوجد بيكر ممسكا بساعد الانجليزي البدين، بينما لم يحرك أحد من الآخرين ساكنا. وصاح بيكر بالرجل الانجليزي: ما معني هذا؟ لماذا أطلقت الرصاص؟

فأجاب الرجل محتجا: أنا لم أطلق الرصاص.. لقد سقط المسدس فانطلقت الرصاصة. أنك أردت أطلاق الرصاص علي ذلك العربي الذي فر في التو واللحظة.

- أنما أردت أرهابه.. لقد عرفته حين نهض واقفا.. عرفت فيه شخصا باعني قطعة اثرية زائفة.. كنت أقصد مداعبته وارهابه فحسب.

وكان بيكر يكره الدعاية، فتظاهر بالاقتناع بأعذار الرجل رغم تفاهتها، أولا لأنه لا يملك دليلا ضده.. وثانيا لأن كارمايكل ربما لا يوافق علي اثارة ضجة حول الحادث.

وراح الخادم ينحي باللائمة علي الرجل الذي أطلق الرصاص في القنصلية، وقال ان القنصل لن يغفر مثل هذا السلوك، فأجاب الانجليزي:

ـ قلت أن الرصاصة انطلقت قضاء وقدرا، وأنا آسف لذلك.. وعلي كل حال فأنني سأنصرف الان وسوف أحاول مقابلة القنصل في فرصة أخري.

ثم قدم بطاقته لريتشارد بيكر واستطرد قائلا: اليك اسمي. وأنا أقيم بفندق المطار.. ويمكن الاتصال بي هناك اذا تطورت الأمور.. ولكني أذكر لك مرة أخري أن الأمر كان مجرد دعابة.

وانصرف الرجل. وبعد لحظة، دعي بيكر لمقابلة القنصل، وكان رجلا نحيفا في الحلقة الخامسة من عمره، فابتدره بيكر بقوله: لا أعلم اذا كنت تذكرني أم لا.. أننا تقابلنا في طهران منذ عامين.

- بل أذكرك جيدا.. كنت وقتئذ مع الدكتور بونسفوت جونز. اليس كذلك؟ هل جئت معه أيضا هذه المرة؟

- نعم.. ولكني أجد لدي فسحة من الوقت قبل أن الحق به، وأود قضاء هذا الوقت في القيام بزيارة سريعة للكويت.. فهل هناك مانع؟

- لا مانع علي الاطلاق.. ستقلع الطائرة غدا صباحا فتصل الي الكويت بعد ساعة ونصف.. سأبرق الآن الي (ارشي جونت) مندوبنا المقيم هناك.. لكي يستقبلك ويعد لك مكانا للاقامة.. أما هذه الليلة فانك ستقضيها في ضيافتي.

- لا أريد ازعاجك.. أن في استطاعتي أن أقضي الليلة في الفندق.

- أن فندق المطار مليء بالنزلاء.. وسيكون من بواعث سرورنا أنا وزوجتي أن نستضيفك الليلة.. أن لدينا ضيفين آخرين.. مستر كروسبي الموظف بشركة البترول.. وشاب أخر يعمل مع الدكتور راتبون ويقضي نهاره مع رجال الجمرك للتخليص علي أمتعة الدكتور وكتبه.

وكان كلايتون يقيم بالطابق الاول فوق مكاتب القنصلية وقد عرفته زوجة ريتشارد بيكر حالما رأته، فرحبت به قائلة:

- لقد طفنا معا بأسواق طهران، وأذكر أنك أبتعت مجموعة من السجاجيد الثمينة.

فأجاب بيكر:

- أنها خير صفقة عقدتها.. والفضل فيها لك.

فقال كلايتون:

- أن بيكر يعتزم السفر غدا الي الكويت، وقد دعوته لقضاء الليلة معنا.

فقالت زوجته:

- بغير شك.. أنني لا أستطيع أن أقدم لك أضخم غرفة عندنا.. لأن الكابتن كروسبي يشغلها ولكني سأقدم لك غرفة أخري مريحة.

واستأذن القنصل في الانصراف للعودة الي مكتبه.. وقال:

- يبدو أن حادثا وقع في قاعة الانتظار، فقد قيل لي ان شخصا شهر

مسدسه.

فقاطعه بيكر قائلا:

- الواقع انني شهدت هذا الحادث.. أن بطله رجل انجليزي أراد مداعبة أحد العرب ولكني جردته من سلاحة.. اليك بطاقته.

وقدم للقنصل بطاقة الانجليزي البدين فقرأ فيها:

- روبرت هول - مصانع أشيل - أنفليد.. انني لا أعرف لماذا أراد مقابلتي.. هل كان ثملا؟

- لا أعلم.. لقد زعم أنه أراد مداعبة العربي، وأن الرصاصة انطلقت قضاء وقدرا.

فقطب كلايتون حاجبيه وقال: أن رجال الاعمال لا يزورون القنصلية عادة وفي جيوبهم مسدسات محشوة.

فقال بيكر: أظن أنه ما كان ينبغي لي أن أدعه يذهب.

- ليس من السهل في مثل هذه الظروف أن يعرف الانسان ما ينبغي عليه عمله.. هل أصيب العربي؟

- كلا.

- اذن فقد أحسنت باخلاء سبيل الرجل.

- ولكني أعتقد أن وراء الأكمة ما وراءها.

-وأنا أيضا أعتقد ذلك.

وعاد القنصل الي مكتبه.. بينما رافقت زوجة بيكر الي قاعة الاستقبال وقدمت له قدحا من الجعة وسألته عن سبب سفره الي الكويت فأجابها، وسألته لماذا لم يتزوج بعد. فقال أنه يكرس كل وقته للعمل، ولا يفكر في أي شيء آخر، فسألته:

- الا توجد فتيات يعملن معكم في الحفريات؟

- بل توجد فتاة أو فتاتان.. عدا زوجة الدكتور بونسفوت جونز بطبيعة الحال.

وفي هذه اللحظة دخل عليها رجل قصير القامة عريض الكتفين فقدمته مسز كلايتون الي ريتشاردبيكر باسم الكابتن كروسبي. وقالت لكروسبي عن ريتشارد بيكر أنه عالم آثار ينتظره مستقبل عظيم، وأنه اكتشف مجموعة من الآثار يرجع تاريخها الي الآف السنين. فقال الكابتن أنه لم يفهم قط كيف

يستطيع العلماء تحديد عمر الاثار التي يكتشفونها.. وانه يعتقد أنهم يكذبون علي الناس.

فنظر اليه بيكر في إشفاق ولزم الصمت، فقال كروسبي ضاحكا أنه انما أراد مداعبته. وأنه يود أن يعرف كيف يحدد العلماء عمر الاثار.. وأجاب بيكر بأن ذلك يتطلب شرحا طويلا، فأنهت مسز كلايتون الحديث بقولها:

- ليكن ذلك في وقت آخر أما الان فدعني أرشدك الي غرفتك.

وعندما خلا بيكر الي نفسه.. أخذ يتفقد الغرفة ويده في جيبه.. فشعر فجأة بأن في قاع الجيب ورقة مطوية لم يتذكر أنه وضعها فيه.

الا يحتمل أن يكون كارمايكل قد دسها في جيبه حين تظاهر بأن قدمه زلت فاستند عليه؟

أخرج الورقة من جيبه وبسطها وتبين أنها قد طويت مرارا من قبل حتي كادت أن تبلي، وأنها كتبت منذ ثمانية عشر شهرا، ذلك اذا صح التاريخ المسجل فيها.

كانت تتضمن توصية من الماجور ويلبر فورس بشخص يدعي أحمد محمد، قال فيها أنه رجل نشيط أمين يجيد قيادة سيارات النقل واصلاحها.

وقطب ريتشارد بيكر حاجبيه. واستغرق في التفكير.

ومن المحقق أن كارمايكل كان يشعر بأن حياته مهددة فلجأ الي القنصلية في طلب النجاة، ولكن الخطر تعقبه الي هناك والعدو الذي يخشاه كان له بالمرصاد في قاعة الاستقبال.

ومما لا شك فيه أن الرجل البدين الذي بدا في مظهر المندوبين التجاريين قد تلقي أمرا صريحا محددا، فلم يتردد، وحاول الفتك بكارمايكل في دار القنصلية في وضح النهار وأمام شهود. مما يدعو الي الاعتقاد بأن الأمر عاجل، وعلي جانب عظيم من الأهمية.

ويبدو أن كارمايكل قد تبين الخطر وأحس بمصدره فلم يكد يتعرف علي زميله في الجامعة حتي استغاث به. وحرص علي أن ينقل اليه تلك الوثيقة التي قد يكون لها من الأهمية أكثر مما يبدو من ظاهرها فاذا استطاع أعداء كارمايكل الايقاع به ولم يجدوا معه الوثيقه فمن المؤكد انهم سيواصلون البحث لمعرفة الشخص الذي انتقلت اليه.

فماذا يفعل الان بالوثيقة؟

هل يقدمها لمستر كلايتون بصفته ممثل حكومة صاحبة الجلالة ملكة انجلترا؟

ـ أم يحتفظ بها حتي يعود كارمايكل لاستردادها؟

وصحت عزيمته علي الرأي الثاني، وهو الاحتفاظ بالوثيقة مع اتخاذ الحيطة اللازمة.

ولذلك عمد الي كتابه وثيقة مماثلة، بخط متشابه بقدر الاستطاعة ولكن بمضمون مختلف تماما.

وبعد أن فرغ من ذلك، أجري يده علي نعل حذائه.. ثم مر بها علي الورقة وطواها مرار ليكسبها مظهر القدم.

ثم تناول الوثيقة الأصلية وغلفها بقطعة من ورق السلوفان، ثم أحاطها بطبقة من الصلصال وصورها في شكل قطعة أثرية وضعها في مكتبه.

أما الوثيقة الزاءفة، فأنه وضعها في مكتبه.

وفي صباح اليوم التالي عندما استيقظ مبكرا ليستقل الطائرة للكويت، وضع يده في جيبه. ولم يجد أثرا للوثيقة الزائفة.

***

صالة المطار



كانت فكتوريا جونز تنظر الي الحياة من خلال منظار وردي وهي جالسة مع مسز كليب في قاعة الانتظار المطلة علي المطار.

لقد مر موظف المطار منذ لحظات وأهاب بالمسافرين الي (القاهرة وبغداد وطهران) أن يستعدوا.

ثلاثة أسماء تحدثت الي مخيلة فكتوريا وذكرتها بكل ما قرأته وسمعته عن الشرق وسحره وغموضه.

وطبيعي أن ذكر هذه الأسماء الثلاثة لم يحدث أي أثر في نفس مسز كليب التي قضت جانبا كبيرا من عمرها في الطائرات والبواخر والقطارات. كانت فكتوريا تنعم بكل دقيقة من حياتها منذ غادرت فندق سافوي في الصباح، وذلك رغم ثرثرة مسز كليب وما طبعت عليه من التفكير بصوت مسموع.

وراحت مسز كليب تستعرض زملاءها في الرحلة.. قالت:

- هذان الطفلان جميلان حقا.. ولكن مرافقة الأطفال وفي الطائرات أمر مزعج.. لابد أنهما انجليزيان.. أما هذا الرجل الذي ذو الثياب الصارخة الألوان فهو فرنسي بغير شك.. أما هذا الرجل الذي يجلس هناك، فانه هولندي.. لقد كان يقف أمامنا عند فحص جوازات السفر تخيل إلي أنه ليس بين المسافرين أحد من الامريكيين.. ولكن ما هذا؟ لقد مر علي جلوسنا هنا أكثر من نصف ساعة.. فلم كل هذا الانتظار؟

وجاءها الجواب علي الفور، فقد مر بهما رجل طويل القامة، أشيب شعر الرأس والشاربين يحمل معطفه علي ساعده، ويضع علي رأسه قبعة عريضة الحافة أشبه بقبعات أهل المكسيك، ويحيط به عدد من موظفي شركة الطيران، يحمل أحدهم حقيبتين ثمينتين. كان الرجل أشبه بالمغامرين الذين نراهم في الافلام.

وسمعت مسز كليب الموظفين يتسابقون للرد علي اسئلة الرجل:

- نعم يا سير روبرت.
- طبعا يا سير روبرت.
- ستقلع الطائرة في الحال يا سير روبرت.

فهمست مسز كليب: سير روبرت؟ تري من يكون هذا السير روبرت؟

ـ لابد أنه أحدي الشخصيات الهامة. هل هو أحد وزرائكم يا آنسة فكتوريا؟

لا أظن ذلك يا مسز كليب.

ومهما يكن من أمر سير روبرت.. فأنه كان بغير شك أحدي الشخصيات الهامة.. بدليل أن الطائرة كانت تنتظره، فلم يكاد يصل حتي دعي الركاب الي الصعود.

واقلعت الطائرة، وانصرف مسز كليب الي قراءة احدي القصص، وراحت فكتوريا تطل من النافذة وأرخي سير روبرت قبعته علي وجهه واستغرق في النوم.

وعندما وصلت الطائرة الي مطار (كاستل بنيتو) في طرابلس، كانت الأمطار تهطل بشدة، وأقبل عدد من موظفي الشركة لاستقبال سير روبرت، ومرافقته الي جناح فاخر في فندق المطار، بينما قصد المسافرون الي غرف أخري بالفندق لقضاء ليلتهم.

وقبل العشاء، تخلفت فكتوريا قليلا في غرفتها لاستبدال ثوبها وتصفيف شعرها، وعندما لحقت بمسز كليب التي قضت وقتها في الثرثرة مع بعض المسافرين، قالت لها هذه الأخيرة:

- لقد اكتشفت حقيقة هذا السيد الذي يحيطه موظفو شركة الطيران بكل الرعاية والاحترام.. أنه السير (روبرت كرفتون لي) الرحالة المشهور.. لابد أنك سمعت عنه.

فهزت فكتوريا رأسها علامة الايجاب.

كانت قد سمعت عنه حقا، ورأت صورته في بعض الصحف، وقرأت أنه يعرف الصين من الداخل كما لا يعرفها أي أنسان آخر، وأنه أحد الأوروبيين القلائل الذين ارتادوا (التيبت) وزاروا (لهاسا).. وأنه يعرف كردستان وآسيا الصغري كأهلهما.. وقد وضع عدة كتب أعيد طبع بعضها أكثر من مرة..

وقد كان رأي فكتوريا في الرجل أنه يبدو أقل أهمية من كتبه، ولكنها لم تقل ذلك لمسز كليب.

***

البحث عن هـ . ش



كانت مكاتب شركة جرامو فون (فالهالا) تقع في الطابق الخامس باحدي العمارات الكبيرة بحي رجال المال والأعمال في لندن.

وفي أحدي الغرف، كان رجل يقرأ كتابا في الاقتصاد السياسي حين دق جرس التليفون فتناول السماعة، وقال بصوت هاديء:

- شركة جراموفون فالهالا.

- أنا ساندرز، لدي تقرير عن هـ. ش.. لقد فقدنا أثرها.

فساد صمت عميق.. ثم صاح رجل الشركة بصوت حاد:

- ماذا قلت؟

- قلت أننا فقدنا أثر هيلين شيل.

- لا تذكر أسماء.. أنك ارتكبت خطأ جسيما.. كيف حدث ذلك؟

- ذهبنا الي العيادة التي حدثتك عنها.. والتي أجريت فيها جراحة لأختها. ثم؟

- لقد نجحت الجراحة، وظننا أن هـ. ش. ستعود الي فندق سافوي، ولكنها لم تبرح العيادة التي وضعناها تحت رقابة مشددة.

- ولكنها مع ذلك بارحتها؟

- وذلك ما أكتشفناه فيما بعد، وقد ثبت لنا أنها غادرتها في أحدي سيارات الاسعاف غداة اجراء الجراحة.

- أذن فقد خدعتكم؟

- يخيل الي ذلك.. ولكني أستطيع أن أقسم أنها لم تكن تعلم أن هناك من يتعقبها.. فقد عملنا بحذر شديد.. وكنا ثلاثة أشخاص..و.

- احتفظ بهذه التفصيلات لنفسك. والي أين ذهبت سيارة الاسعاف بـ (هـ.ش.)؟

- الي مستشفي الجامعة.
- وماذا قالوا لك في المستشفي؟
- قالوا ان سيارة الاسعاف حملت اليهم امرأة مريضة ومعها ممرضة هي بلا شك هـ. ش. وأن الممرضة اختفت عقب تسليم المريضة.. ولا احد يعلم أين ذهبت.
- وماذا قالت المريضة عنها؟
- لا شيء.. لأنها كانت تحت تأثير المخدر.
- والخلاصة أن هـ. ش. يحتمل الآن أن تكون في أي مكان؟
- نعم.. ولكنها اذا عادت الي فندق سافوي فان.
- كفي سخفا.. انها لن تعود الي فندق سافوي.
- هل نبحث عنها في الفنادق الأخري؟
- طبعا.. ولكن البحث لن يسفر عن نتيجة.. لانها تعلم أن ذلك هو أول شيء ستفعلونه.
- أذن ما هي تعليماتكم؟
- ابحثوا عنها في الموانئ.. في دوفر وفولكستون وغيرهما.. وابحثوا في شركات الطيران.. وخاصة تلك التي تمر طائراتها ببغداد.. وافحصوا سجلات الاشخاص الذين حجزوا أماكن للسفر خلال الأسبوعين القادمين.. ولا تنسوا أن من المحقق أنها سوف تسافر تحت اسم مستعار. إني آمل في ذلك.. ربما كنت أنت مغفلا أما هي فانها ليست كذلك.. هل تعلم أختها شيئا؟
- اننا علي اتصال بالممرضة التي ترعاها في العيادة الطبية.. وقد علمنا أن الأخت تعتقد أن هـ. ش. قد سافرت الي باريس في مهمة خاصة بمستر مورجنتال. وأنها تقيم هناك في فندق ريتز.. كذلك تعتقد الأخت أن هـ. ش. ستعود الي أمريكا في اليوم الثالث والعشرين من هذا الشهر.

معني ذلك أن هـ. ش. لم تقل شيئا ولم تصارحها بشيء.. ولا غرابة في ذلك.. عليكم الآن أن تهتموا بشركات الطيران.. ان هـ. ش. تزعم السفر الي بغداد.. وهي لكي تصل اليها في الوقت المناسب، لا مفر لها من السفر باحدي الطائرات.. وفيما عدا ذلك يا ساندوز. نعم؟

لا ترتكب غلطة اخري. سنمنحك فرصة ثانية.. ولكنها ستكون الأخيرة.

العاصفة



ليونل..! نظر شريفنهام الملحق الشاب بالسفارة البريطانية، الي الطائرة التي تحلق فوق المطار وارتسمت علي وجهه دلائل القلق.. فقد رأي سحبا رملية تتجمع في الجو وتنذر بعاصفة لم يتوقعها أحد.

قال لصديقه هارولد: اذن ماذا سيفعل قائدها؟

أعتقد أنه سيهبط في البصرة.. فالجو هناك أفضل.

- هل بالطائرة من يهمك أمره؟ فتنهد شريفنهام وأجاب:

- أنني في مازق لا أحسد عليه، فالسفير الجديد لم يصل بعد، ومستر لانسرون، الذي يقوم بعمل السفير، موجود الآن في انجلترا، ومستر رايس مستشار السفارة لشئون الشرق مصاب بحمي معوية ودرجة حرارته أربعون، ومستر بيست سافر إلي طهران، وهكذا لم يبق من المسئولين لاستقبال الطائرة سواي..

ـ إن بالطائرة شخصاً لا أعرف عنه شيئاً سوي أنه رحالة يقضي وقته علي ظهور الجمال في بلاد لم يسمع عنها أحد..

ـ ولكن يبدو أنه شخصية هامة، فقد صدرت إليّ الأوامر بأن أنزل علي إرادته والبي كل رغباته.. فإذا هبطت به الطائرة في البصرة فمن المحقق أنه سيكون ضيق الصدر محنقاً حين يصل إلي هنا.. ثم أنني لا أعرف ماذا ينبغي عمله إذا هبطت به الطائرة في البصرة.. ربما كان أفضل الحلول أن أرسل إليه إحدي طائرات سلاح الطيران لإحضاره.. ولكني أعلم أن هناك قطاراً يغادر البصرة مساء اليوم، وربما كان صاحبنا يفضل أن..

ولم يتم شريفنهام عبارته، وتنهد مرة أخري.. لقد قضي في بغداد ثلاثة أشهر لازمه خلالها سوء الطالع، حتي بات يشعر بأن أية غلطة جديدة قد تودي بمستقبله.

وأحس شريفنهام كأن عبئاً ثقيلاً أزيح عن صدره حين رأي الطائرة تهبط بسلام وتشق طريقها في الممر وتتوقف في المكان المخصص لها.

راح يراقب المسافرين وهم يغادرون الطائرة، وسرعان ما عرف ضالته من قبعته الغريبة.. فتقدم لاستقباله.. وبادره بقوله: سير روبرت كرفستون لي فيما أعتقد؟ أنا شريفنهام من السفارة.

وكان رد السير روبرت يفتقر إلي اللباقة ولكن الشاب تجاوز عنه ورافق الضيف إلي السيارة التي كانت في الانتظار وركب معه.. وقال علي سبيل جس النبض: لقد خيل إليّ في لحظة ما أن الطائرة لن تستطيع الهبوط وأنها قد تضطر لمواصلة الرحلة إلي البصرة أن العاصفة الرملية..

فقاطعه السير روبرت بقوله:

- لو أن هذا قد حدث لكان كارثة بالنسبة لي.. هل تعرف أيها الشاب أن أي تغيير يطرأ علي برنامجي قد يكون له من النتائج الخطيرة ما لا يستطيع أحد تصوره؟

أدرك شريفنهام مدي غرور الرجل وصلفه ولكنه أجاب باحترام:

- أنني واثق من ذلك يا سيدي.

- هل تعرف متي سيصل السفير إلي بغداد؟

- أن موعد قدومه لم يحدد بعد.

- سوف يؤسفني إلا أراه.. لقد قابلته لآخر مرة في الهند.

وصمت قليلاً ثم سأل: ألا يزال رايس هنا؟

- نعم يا سيدي.. أنه مستشار الشئون الشرقية.

- أنه رجل له أهميته.. ويسعدني أن أقابله.

- مما يؤسف له يا سيدي أنه في المستشفي تحت الملاحظة.. إذ يبدو أنه اصيب بحمي معوية وحالته تثير قلق الأطباء.

فتحول إليه السير روبرت بحدة وساله: ومتي أدخل المستشفي؟

- أمس الأول.

فقطب السير روبرت حاجبيه، وتلاشي صلفه وتمتم قائلاً:

- من يدري، فلعله أصيب بحمي «شيل»!!

ولم يكن شريفنهام قد سمع عن مرض بهذا الاسم، فلزم الصمت.

واقتربت السيارة من جسر الملك فيصل وانحرفت يساراً في الطريق إلي مقر السفارة، وفجاة انحني السير روبرت إلي الأمام وقال للسائق:

- هل لك أن تتوقف لحظة؟.. أمام هذا الحانوت.

فاطاع السائق وأوقف السيارة أمام حانوت صغير مليء بشتي أنواع الأواني الخزفية.

وغادر الحانوت في هذه اللحظة رجل أوروبي.. سار في الطريق إلي الجسر وخيل لشريفنهام أنه عرف فيه الكابتن كروسبي الموظف بشركة البترول وكان شريفنهام قد التقي به مرة أو مرتين.

ووثب السير روبرت من السيارة، ودخل الحانوت، وتناول آنية، ودار بينه وبين صاحب الحانوت الحديث باللغة العربية، وكانا يتكلمان بسرعة، فلم يفهم شريفنهام - ومعرفته بهذه اللغة محدودة - شيئاً من حديثهما.

وراح سير روبرت يفحص الأواني، ويلقي بعض الأسئلة وصاحب الحانوت يجيبه بسيل من الكلمات.

وأخيراً وقع اختيار السير روبرت علي آنية صغيرة ذات عنق طويل ضيق، ووضع قطعة من النقود في يد صاحب الحانوت، وعاد إلي السيارة.

وقال يحدث شريفنهام: إن هذه الأواني الخزفية تصنع بنفس الطريقة من آلاف السنين.. وقد رأيت مثيلاتها في بعض المناطق الجبلية في أرمينيا.

ووضع أصبعه في عنق الآنية وهو يتكلم، فقال شريفنهام:

- أنها بدائية الصنع.

- أنني أوافقك علي أنها لا قيمة لها من الناحية الفنية.. أما من الناحية التاريخية.. فإنها عظيمة القيمة.. أنني احتفظ بمجموعة ضخمة من الأواني الخزفية.

ووصلت السيارة إلي السفارة فطلب السير روبرت اقتياده إلي غرفته فوراً، ولاحظ شريفنهام أن اهتمام ضيفه بالآنية قد فتر بمجرد فراغه من الحديث عنها.. حتي أنه نسيها في السيارة.. ورأي شريفنهام من واجبه أن يحملها، وشكره السير روبرت بلهجة الشخص الذي يفكر في شيء آخر.

وما أن انصرف شريفنهام حتي اقترب السير روبرت من نافذة غرفته، وبسط الورقة التي أخرجها بأصبعه من عنق الآنية.

كانت رسالة تتألف من سطرين، فقرأها ثم أحرقها ودق الجرس، وقال للخادم الذي أقبل:

- هل لك أن تطلب إليّ مستر شريفنهام أن يأتي لمقابلتي؟

وجاء شريفنهام وهو يقدم رجلاً ويؤخر الأخري.. فقال له السير روبرت: يا مستر شريفنهام.. لقد طرأ علي برنامجي تعديل هام فهل أستطيع الاعتماد علي كتمانك؟ - بغير شك يا سيدي.

- حسناً.. أنني لم أقم بزيارة بغداد منذ بضعة أعوام.. وبالتحديد، منذ نهاية الحرب فهل لاتزال الفنادق علي الضفة الأخري للنهر؟

- نعم يا سيدي.. بشارع الرشيد.

- علي امتداد «دجلة»؟ - نعم. وأكبر هذه الفنادق هو فندق بابل، الذي تنزل به الشخصيات الرسمية.

- هل تعرف فندق يسمي فندق «تيو»؟

- نعم أن زبائنه كثيرون.. وطعامه جيد.. وصاحبه المدعو ماركو تيو رجل عجيب يعد من معالم بغداد.

- حسناً.. أنني أريدك علي أن تحجز لي غرفة في فندق «تيو»؟

فبهت شريفنهام، وظن أنه لم يسمع جيداً.

قال بلسان يتعلثم: هل تعني.. أنك لن تقيم في السفارة؟ لقد اتخذنا جميع الإجراءات لتوفير أسباب الراحة.

فقاطعه السير روبرت: أعلم ذلك.. ولكني يجب أن أقوم بمفاوضات سرية

علي جانب عظيم من الاهمية والخطورة.. وقد علمت للتو واللحظة أنني لن أستطيع انجاز هذه المفاوضات بدار السفارة. ولذلك أريدك علي أن تحجز لي غرفة في «تيو»، وسأغادر السفارة سراً، أي أنني لن أكون بحاجة إلي سيارة السفير لتذهب بي إلي «تيو» ثم أنني أريد أن تحجزوا لي مكاناً علي الطائرة التي ستقلع إلي القاهرة بعد غد.

- ولكني كنت أعلم أنك ستقضي في بغداد خمسة أيام.

- قلت لك إن برنامجي قد تغير.. ولابد لي أن أبرح بغداد إلي القاهرة عقب الفراغ من مهمتي هنا.. أن بقائي في بغداد سيكون خطراً عليّ. - خطراً عليك؟

فارتسمت علي شفتي السير روبرت ابتسامة رقيقة.. أذهلت شريفنهام.. لقد تغير الرجل فجأة.. فلم يعد ذلك الإنسان المتعجرف الذي ذكره حين رآه في المطار بعجرفة الضباط الألمان.

واستطرد السير روبرت قائلاً:

- إنني في العادة لا أحفل بسلامتي الشخصية.. ولكن الأمر في هذه المرة لا يتعلق بي وحدي.. أنه يمس أشخاصاً عديدين.. ولذلك أرجوك أن تعمل علي تنفيذ تعليماتي.. أما أنا فلن أغادر السفارة قبل المساء، وسأبقي في غرفتي لا أبرحها حتي ذلك الوقت.

ولشد ما كانت دهشة شريفنهام حين أردف السير روبرت قائلاً:

- أنا رسمياً مريض بالملاريا.. ولذلك لن أتناول طعاماً.

- ولكننا نستطيع أن نقدم لك الطعام في غرفتك.

- لا ضرورة لذلك.. أن الصوم أربعاً وعشرين ساعة لن يقتلني، فأفعل كما قلت لك.

***

فندق «تيو»



كانت أولي انطباعات فيكتوريا لدي وصولها إلي بغداد هو الإحساس بخيبة الأمل، فأنها لم تر وهي في طريقها إلي فندق «تيو» سوي الرمال المحرقة والجو الخانق، والشوارع المكتظة.

وقد حرص ماركوس تيو، صاحب الفندق علي أن يستقبل مسز كليب بنفسه.

كان لا يزال في مقتبل العمر، ولكنه ضخم الجسم، مترهل الجسد.

هتف حالما وقع بصره عليها: طاب صباحك يا مسز كليب.. كم نحن سعداء بلقائك.. ولكن ماذا أصاب ذراعك؟ أنك جئت في يوم عاصف، وقد خشيت ألا تتمكن الطائرة من الهبوط.. لقد صح عزمي أكثر من ذي قبل علي ألا أسافر بالطائرات.. لماذا العجلة؟ أن بضع ساعات أو بضعة أيام لا تقدم ولا تؤخر.. آه.. أري أنك أحضرت معك شابة جميلة!! نحن هنا في بغداد نرحب دائماً بالحسناوات اللاتي لم يسبق لنا رؤيتهن.. هل تسمحان بأن أقدم لكما شيئاً؟

وتحت إلحاح ماركوس، وافقت فيكتوريا علي أن تتناول قدحاً من الويسكي، ثم صعدت إلي غرفتها، ولاحظت حين نظرت إلي نفسها في المرآة أن شعرها قد تغير لونه بفعل ذرات الرمال الناعمة التي تخللته.

ولكنها وجدت نفسها في المساء أفضل حالاً وأكثر نشاطاً بعد أن اغتسلت واستبدلت ثيابها وتناولت غذاء شهياً وغفت في فراشها في فترة الظهيرة.

وكانت العاصفة الرملية قد هدأت، فخرجت إلي شرفة غرفتها.. ورأت نهر

دجلة يسبح في ضوء القمر، وعلي ضفته الأخري علي امتداد البصر كانت بعض بيوت مبعثرة بين أشجار نخيل لا حصر لها.

وتنبهت فيكتوريا فجأة إلي حديث يدور بين شخصين في حديقة الفندق تحت شرفتها مباشرة فأرهفت أذنيها.. وعرفت صوت مسز هاملتون كليب.

ولكن مع من تتحدث هذه السيدة الثرثارة؟

وأطلت برأسها من فوق حاجر الشرفة.. ورأت مسز كليب تجالس سيدة إنجليزية من ذلك الطراز الفضولي الذي يصادفه الإنسان كثيراً في رحلاته بالخارج.

وكانت مسز كليب تقول: لا أعلم ماذا كنت سأفعل بدونها.. أنها أظرف فتاة قابلتها في حياتي، ثم أنها تنتمي إلي أسرة كريمة، فهي ابنة أخ أسقف «لانجو».

- أسقف ماذا؟

- لانجو.. أظن أن هذا الاسم الذي ذكرته.

- لا يوجد أساقفة بهذا الاسم.

فقطبت فيكتوريا حاجبيها.. يبدو أن هذه السيدة ليست ممن يمكن خداعهم بسهولة.

قالت مسز كليب:

ـ ربما سمعت الاسم خطأ.. مهما يكن من أمر فإنها فتاة ظريفة مهذبة... أحقاً؟

ويبدو أن السيدة لم تقتنع.. فقررت فيكتوريا أن تتجنبها بقدر الاستطاعة.. واستلقت في فراشها وراحت تستعرض موقفها.

أنها الآن في «تيو».. وواضح أنه من فنادق الدرجة الأولي.. بينما كل ما تملكه لا يتجاوز أربعة جنيهات وسبعة عشر شلناً.

لقد تناولت طعاماً شهياً، ومن المحقق أن مسز كليب لن تدفع ثمن الطعام، لأن مسئوليتها حيالها قد انتهت بوصولها إلي بغداد.

أنها لم تعد الآن في خدمة مسز كليب التي ستسافر بقطار الليل إلي كركوك.

تري هل ستقدم لها مسز كليب منحة عند رحيلها؟

ربما.. ولكن ذلك ليس مؤكداً، خاصة وأن هذه السيدة الطيبة القلب لا

تعرف شيئاً عن أزمتها المالية.

لم يبق هنا لها سوي شخص واحد تستطيع الاعتماد عليه.. وذلك الشخص هو ادوارد.. ولكن أين ستجده؟

ـ وكيف تستفسر عنه؟ واكتشفت فيكتوريا فجأة أنها لا تعرف لقبه.. ولكن من حسن الحظ أنها تعلم أنه يعمل سكرتيراً للدكتور راتبون.. والدكتور راتبون شخصيته معروفة دون شك.

وصففت فيكتوريا شعرها وأصلحت من زينتها.. وهبطت إلي بهو الفندق، فأستقبلها ماركوس بابتسامة عريضة.

هتف حالما رآها مقبلة: مس جونز!! كم يسعدني أن أراك، وسأكون سعيداً إذا وافقت علي تناول شيء معي.. أنني أعبد الإنجليزيات.. جميع الإنجليزيات في بغداد صديقاتي.. هلمي بنا إلي البار.

فلم تعارض فيكتوريا، وما أن جلست إلي البار، وأمامها قدح من الويسكي حتي شرعت في الاستفسار عما يهمها معرفته.. سألته: هل تعرف شخصاً يدعي الدكتور راتبون، وصل إلي بغداد مؤخراً؟

- أنني أعرف كل الناس في بغداد، وكل الناس يعرفونني.. والجميع أصدقائي.

- أنا واثقة من ذلك.. ولكن هل تعرف الدكتور راتبون؟

- في الأسبوع الماضي، جاءني القائد الأعلي لسلاح الطيران في الشرق الأوسط، ولم أكن رأيته منذ ثلاثة أعوام فقال لي أنني أصبحت بديناً.. آه.. لكم أحب هذا الرجل!! أنه ظريف حقاً..

- والدكتور راتبون.. أهو ظريف أيضا؟

- أنني أحب أن أري حولي وجوهاً باسمة.. وأحب الشباب المرح الظريف الذين علي شاكلتك.. هل لك في قدح آخر من الويسكي؟

- كلا.. شكراً.

- أن قدحاً آخر لا يقدم ولا يؤخر.

- والدكتور راتبون؟

- مسز كليب أمريكية.. أن بين الأمريكيين أشخاصاً ظرافاً إلي أقصي حد.. إليك مثلاً مستر سومرز أنه حين يأتي إلي بغداد يقضي اليوم الأول في الشراب ويلزم فراشه طوال الأيام الثلاثة التالية.. وفي رأيي أن ذلك إسراف.

- أريد منك خدمة ما مستر تيو.

فابرقت أسارير ماركوس وقال:

- إن هذا كل ما أتمني.. قولي ماذا تريدين فأعمل علي تنفيذه فوراً.

- أريد مقابلة الدكتور راتبون.. أنه جاء إلي بغداد منذ بضعة أيام ومعه.. ومعه سكرتير.

- راتبون؟ أنني لا أعرفه.. فهو ليس من عملاء تيو.

وكانت لهجة الرجل صريحة في الدلالة علي أنه لا يعترف بوجود شخص ليس من عملاء فندقه.. فسألته فيكتوريا:

- هل توجد فنادق أخري؟

- طبعاً.. يوجد فندق «بابل بالاس» وفندق «سنحريب» وفندق «زبيدة».. جميعها من فنادق الدرجة الأولي.. ولكنها لا تضارع «تيو».

- هذا أمر مؤكد.. ولكن ألا تعلم ما إذا كان الدكتور راتبون ينزل في أحد هذه الفنادق؟ أنه يدير معهداً.. أو جمعية ثقافية.

- هذا شيء جميل.. فنحن جميعاً بحاجة إلي الثقافة.. وخاصة الثقافة الموسيقية.. وفيما يختص بي.. فأنني أعبد السيمفونيثت.. وخاصة القصيرة منها.

وأدركت فيكتوريا أنها تضيع وقتها عبثاً.. صحيح أن الرجل متحدث لبق.. ولكن أحاديثه مهما تشعبت، تلتقي كلها عند نقطة واحدة.. هي ماركوس نفسه.

ورفضت الفتاة القدح الثالث الذي عرضه عليها ماركوس، وغادرت صالة الفندق وهي تترنح.. وقصدت إلي الشرفة واستندت عليها، وراحت تتأمل النهر.

وما هي إلا لحظة حتي سمعت خلفها صوتاً يقول:

- معذرة يا آنسة.. ولكن يجب أن ترتدي شيئاً يقيك من البرد.. نحن لسنا في إنجلترا.. والجو هنا حار وخانق نهاراً، ولكن شديد البرودة حالما تغيب الشمس.

فاستدارت فيكتوريا ووجدت نفسها وجهاً لوجه مع السيدة التي كانت تتحدث مع مسز كليب تحت شرفتها.

كانت جالسة علي مقعد وثير، وعلي ركبتيها غطاء، وحول عنقها شملة من الفرو.. وأمامها قدحا مليئا بالويسكي.

قالت فيكتوريا: شكراً لكِ.

وهمت بدخول الفندق..

ـ ولكن يبدو أن السيدة كانت مصممة علي التحدث إليها.

قالت: يبدو أنني لم أقدم إليك نفسي.. أنا مسز كارديو ترينش.

وكان واضحاً من صوتها ولهجتها أن لأسرة كارديو ترينش مكانة مرموقة.

واستطردت السيدة قائلة:

ـ أعتقد أنك جئت إلي بغداد مع تلك السيدة الأمريكية مسز هاملتون كليب؟

- نعم.

- أنها قالت لي أنك ابنة أخ اسقف لانجو؟

- هل قالت لك ذلك؟

وابتسمت ابتسامة ذات مغزي فقالت السيدة:

- أنها اخطأت بغير شك.

- الواقع أن الأمريكيين كثيراً ما يخلطون بين الأسماء.. أن اسم «لانجو» قريب الشبه من «لانجاو» أن عمي أسقف لانجاو.

- لانجاو؟

- نعم.. أنها جزيرة صغيرة في الباسفيك.

- آه...

ولم تكن مسز كارديو ترينش قد سمعت عن جزيرة بهذا الاسم.. ولكنها قالت: إن ذلك يوضح الحقيقة.. ولكن ماذا تفعلين في بغداد؟

وتحرجت فيكتوريا من أن تقول إنها إنما جاءت للبحث عن شاب دار بينها وبينه حديث في إحدي الحدائق العامة بلندن.. ولكن من حسن الحظ أنها كانت

قوية الذاكرة.

قالت:

ـ لقد جئت للحاق بعمي الدكتور بونسفوت جونز.

- أنه رجل ظريف ولكنه سريع النسيان.. لقد سمعت إحدي محاضراته في لندن في العام الماضي وأقول لك الحق أنني لم أفهم منها كلمة واحدة.. الواقع أنه مر ببغداد منذ أسبوعين وأعتقد أنه قال شيئاً عن فتيات سوف يلحقن به.

وأحست فيكتوريا بأن مركزها قد توطد فسألت:

- ألا تعلمين إذا كان الدكتور راتبون موجود في بغداد أم لا؟

- أعتقد أنني قرأت أخيراً أنه سيلقي محاضرة بالمعهد يوم الخميس القادم موضوعها:

«الاخاء في العلاقات الدولية».. وإذا أردت رأيي.. فأنني أعتقد أنه يعيش في الخيال.. أن محاولة التقريب بين الشعوب لا تسفر عادة إلا عن تباعدها.. ولست أري أية فائدة من إقدام الدكتور راتبون علي ترجمة مؤلفات شكسبير أو ميلتون إلي العربية والصينية والهندستانية.

- هل تعلمين أين يقيم؟

- أظن أنه يقيم بفندق «بابل بـالاس».. ولكن مقر عمله في «غصن الزيتون».. بالقرب من المتحف، علي بضع خطوات من سوق النحاس.. غصن الزيتون.. اسم مضحك لمعهد يبعث علي الضحك.. معهد تتردد عليه فتيات بعوينات سميكة يرتدين غلالات رقيقة، ولا يغسلن أعناقهن.

- أنني أعرف سكرتيره.

- آه.. ذلك الشاب الوسيم.. ماذا كان اسمه؟ ادوارد.. نعم.. أنه يدعي ادوارد.. شاب ظريف ظلموه بوضعه في بيئة المثقفين التي لا ينتمي إليها من قريب أو بعيد.. وقد قيل إنه أبلي بلاء مجيداً في الحرب.. ولكن يبدو أنه بحاجة إلي هذه الوظيفة.. أن جميع الفتيات مدلهات به.. وبهذه المناسبة.. كيف حال مسز بونسفوت جونز؟ قيل لي أنها كانت مريضة جداً.

ووجدت فيكتوريا، بعد أن عرفت ما كانت تريد معرفته، أن من الحماقة أن تتورط في أكاذيب جديدة، فألقت نظرة علي ساعتها وصاحت:

- يا الهي!! الساعة الآن السادسة والنصف، ومسز كليب تنتظرني لكي أساعدها في ارتداء ثيابها.. يجب أن أذهب.

وكانت مسز كليب تنتظرها حقاً.. فانطلقت إلي غرفتها وهي تكاد تطير فرحاً.

أنها ستري أدوارد غداً.. أما أولئك الفتيات المدلهات به فإنها لا تقيم لهن وزناً.. بحسبها أن تلتقي بأدوارد فتستقيم الأمور.

ومرت الساعات التالية بسرعة.

تناولت طعام العشاء مع مسز كليب.. ثم رافقتها إلي المحطة.. حيث اجلستها في القطار المسافر إلي كركوك.. وأوصت بها بعض المسافرات.

وعندما بدأ القطار يتحرك قالت مسز كليب وهي تضع في يد فيكتوريا مظروفاً ضخماً: هذه هدية صغيرة للذكري فتقبليها يا مس جونز مع وافر شكري.

- كم أنت لطيفة يا مسز كليب!! ما كان يجب أن تفعلي ذلك.

ثم استقلت إحدي سيارات الأجرة إلي الفندق، وأسرعت إلي غرفتها وفضت المظروف بأصابع ترتجف، ووجدت به جورباً من النايلون.

وكان يمكن في ظروف أخري أن ترحب بهذه الهدية.. فإن دخلها لم يسمح لها قط بأن تبتاع جورباً من النايلون.. ولكنها كانت تأمل في شيء آخر.. بعض النقود في ظروفها الحالية كانت أفضل ألف مرة من الجوارب.. مما يؤسف له أن رقة مسز كليب وكياستها منعتها من أن تقدم لها ورقة مالية ذات خمسة دنانير أو أكثر.. مهما يكن من أمر فإن الأمور ستكون أفضل غداً حين تلتقي بأدوارد.

وبهذا الأمل، أوت فيكتوريا إلي فراشها.. وبعد خمس دقائق كانت تغط في النوم.

رجل السفارة



كانت الشمس قد اشرقت منذ ساعة حين استيقظت فيكتوريا وارتدت ثيابها وأطلت من شرفتها ولشد ما كانت دهشتها حين رأت رجلاً أشيب الشعر يجلس في الحديقة وظهره نحوها، فقد عرفت في الرجل سير روبرت كروفتون لي.

لم يخطر ببالها قط أن رجلاً ذا شخصية مبرزة يمكن أن يقيم في مكان آخر غير السفارة.

كانت عيناه تنظران نحو الحقول البعيدة، ولاحظت أن منظاراً مكبراً يتدلي من مسند مقعده واستنتجت من وجود المنظار أنه ربما كان يرقب الطيور وهي تحلق في السماء، فقد عرفت في إنجلترا شاباً كانت له مثل هذه الهواية.

وغادرت فيكتوريا غرفتها وهبطت إلي الشرفة التي تصل ما بين جناحي الفندق، وقابلت هناك ماركوس تيو.

سألته:

– هل يقيم السير روبرت كروفتون في هذا الفندق؟ لقد خيل إلي أنني.

- نعم.. أنه يقيم هنا.. أنه رجل ظريف. - هل تعرفه جيداً؟

فقالت فيكتوريا لنفسها: يبدو أن جميع الناس في نظر ماركوس تيو ظرفاً.

وتناولت أفطارها، وقررت أن تنطلق للبحث عن غصن الزيتون.. أن المتحف الذي تحدثت عنه مسز كارديو ترينش لا يمكن أن يكون بعيداً.

واتفق أنها قابلت ماركوس مرة أخري وهي تهم بالانصراف، فسألته عن المتحف وأجاب:

- المتحف؟ أنه عظيم.. مليء بالآثار القديمة الرائعة.. أنني لم أذهب إليه قط ولكن أصدقائي علماء الآثار يقضون كل يومهم هناك كلما قدموا إلي بغداد.
- ولكن أين موقعه؟
- سيري في شارع الرشيد حتي تصلي إلي جسر الملك فيصل فاعبريه.. ثم اجتازي شارع البنوك وأعبري جسراً صغيراً هناك.
أن المتحف في شارع ضيق إلي يسار الجسر.. أطلبي هناك مستر بيتون ايفانز أمير المتحف.. أنه رجل ظريف له زوجة رائعة جاءت معه إبان الحرب.
- الواقع أنني لا أريد زيارة المتحف ذاته.. ولكني أبحث عن مقر جمعية أو معهد يقال له «غصن الزيتون» فهل تعرفه؟
- كلا.. وعلي كل حال فإن المتحف بعيد ويجب أن تستقلي إحدي سيارات الأجرة.
- وهل يستطيع السائق أن يذهب بي إلي غصن الزيتون؟
- كلا بغير شك.. أن السائقين هنا لا يعرفون شيئاً علي الاطلاق.. وإذا أراد الإنسان الذهاب إلي مكان فعليه أن يرشد السائق.
- لعل من الأفضل أن أذهب سيراً علي قدمي.
وبدأت فيكتوريا رحلتها، وما لبثت أن اكتشفت أن المدينة تختلف كل الاختلاف عما تخيلته فحركة المرور كثيفة، وأبواق السيارات لا تكف عن الضجيج، والمتاجر مكدسة بالبضائع المستوردة وليس هناك سوي عدد قليل من النساء المحجبات.
واجتازت جسر الملك فيصل، وواصلت سيرها، ووجدت نفسها دون أن تشعر أو تستفسر أمام مبني المتحف.
ولكن أين معهد «غصن الزيتون»؟
ولما كانت تجهل اللغة العربية، فإن الأسئلة التي ألقتها علي التجار ظلت بغير جواب، أما رجال شرطة المرور فكانوا منهمكين في عملهم، فلم تتح لها فرصة للتفاهم معهم، وأخيراً سارت كيفما اتفق.. وقادتها الصدفة وحدها إلي شارع ضيق تنبعث منه ضجة شديدة.. ووجدت فجأة أنها في سوق النحاس التي

حدثتها عنه مسز كارديو ترينش.

وأثارت عملية طرق النحاس وتصنيعه وزخرفته فضولها.. فقضت هناك نحو ساعة نسيت خلالها كل شيء عن غصن الزيتون وأحست بأنها في بلاد الشرق حقاً.

وعندما غادرت السوق، وخرجت من الزقاق المقبو الذي يضم النحاسين.. وجدت نفسها بغتة أمام مبني علي بابه لافتة تحمل اسم «غصن الزيتون».

واجتازت دهليزاً ينتهي بقاعة فسيحة وجدت بها بضعة مقاعد، ومائدتين أو ثلاث عليها كتب ومجلات.

ولما ألفت عيناها النور الخافت الذي يضيء الغرفة.. تبينت دواليب الكتب التي تغطي الجدران ورأت فتاة تقبل عليها وتسألها عما في استطاعتها أن تفعله من أجلها.

كانت الفتاة ترتدي بنطلوناً من القطيفة وقميصاً جميلاً برتقالي اللون، وقد أدركت فيكتوريا حين رأت قسمات وجهها وشعرها الناعم أنها لابد أن تكون من أهل الشرق.

سألتها: هل هذا مقر الدكتور راتبون؟

- نعم.. هنا معهد غصن الزيتون.. هل تريدين الانضمام إليه؟

- ربما فيما بعد.. أما الآن فإنني أريد مقابلة الدكتور راتبون.

فابتسمت الفتاة ابتسامة غامضة وأجابت:

- أننا لا نستطيع إزعاجه.. ولكني علي استعداد لأن أقدم إليك كافة الارشادات.. ها هي استمارة العضوية فاملئيها ووقعي عليها بامضائك.. أما رسم الاشتراك فهو ديناران.

فقالت لها فيكتوريا إنها ستفكر في الموضوع.. وأنها تريد أولاً أن تقابل الدكتور راتبون أو سكرتيره.

وأجابتها الفتاة: ولكن ذلك مستحيل الآن.. قلت لك إن..

- وما وجه الاستحالة؟ هل السكرتير غير موجود؟ وكذلك الدكتور راتبون؟

- الدكتور موجود بالطابق الأول ولكنه أمرنا بألا نزعجه.

- أنني قادمة للتو من انجلترا.. ومعي رسالة للدكتور راتبون علي جانب عظيم من الأهمية.. ولذلك يجب أن أقابله شخصياً.. وفوراً، يؤسفني أن

أضايقك ولكن لابد مما ليس منه بد.

ولاحظت الفتاة إصرارها فقالت: حسناً.. اتبعيني.

وقادتها إلي الطابق الأول، حيث وجدت الدكتور راتبون.

كان رجلاً قصير القامة أشيب الشعر يناهز الستين من عمره، وقد نهض لاستقبال الزائرة التي قيل له إنها قادمة من إنجلترا.

بسط لها يديه مرحباً، وعلي شفتيه ابتسامة رقيقة:

- هل أنت قادمة من إنجلترا؟ لاشك أن هذه أول رحلة لك في بلاد الشرق.

- أنها لكذلك.

- يهمني أن أعرف انطباعاتك عن هذه البلاد، ولكن حدثيني أولاً.. ألم نتقابل قبل الآن؟

- كلا.. ولكني صديقة لادوارد.

- صديقة لادوارد؟ وهل يعلم أنك في بغداد؟

- كلا.

- إذن فستكون مفاجأة له عندما يحضر.

- عندما يحضر؟

- نعم.. أنه الآن في البصرة للتفاهم مع رجال الجمارك بشأن شحنة كتب وردت إلينا من انجلترا.

- ومتي سيعود إلي بغداد؟

- لا أعلم.. من المحقق أنه لن يعود قبل الفراغ من مهمته.. اذكري لي عنوانك وسوف انبئه حالما يحضر.

وتذكرت أزمتها المالية وحرج مركزها.. وقالت بعد تردد:

- هل يمكن أن أجد لي عملاً عندكم هنا؟

- دون شك.. أننا بحاجة إلي جميع ذوي النيات الطيبة، ونرحب بالانجليزيات بصفة خاصة.. يوجد نحو ثلاثين شاباً وفتاة يعملون معناً الآن ولكني واثق من أنك ستفيديننا كثيراً.

- الواقع أنني أطلب عملاً بأجر.

فقال الدكتور راتبون وقد فترت حماسته فجأة: هذا أمر آخر.. أن العمل بأجر يبدو عسيراً في الوقت الحاضر. خاصة وأن ميزانيتنا لا تكاد تغطي مرتبات موظفينا القلائل.

- من سوء الحظ أن مركزي لا يسمح لي بالعمل حباً في العمل.

وأحمر وجهها وهي تستطرد قائلة:

- أنني أجيد الاختزال والعمل علي الآلة الكاتبة.

- أنا واثق من ذلك أيتها البنية العزيزة.. ولكن العقبة في الميزانية، علي أنني أرجو إذا استطعت العثور علي عمل آخر أن تكرسي بعض أوقات فراغك للتعاون معنا.. أننا نؤدي هنا عملاً جليلاً، يهدف إلي القضاء علي الحروب، وإزالة أسباب البغض والجفاء التي تمزق العالم، وذلك بالتقريب بين الشعوب عن طريق الفن والثقافة والشعر.

واشتدت حماسة الدكتور راتبون ومضي يقول:

- لقد ترجمت مسرحية شكسبير «حلم ليلة صيف» إلي أربعين لغة، فأتيحت بذلك لشباب أربعين دولة فرصة الاستمتاع بهذه التحفة الأدبية الرائعة.. أن جل اعتمادنا علي الشباب، فهم أقدر علي الفهم والتفاهم.. إليك مثلاً الفتاة التي استقبلتك في المكتبة، أنها سورية من دمشق وتدعي كاترين، وهي في مثل سنك تقريباً، وقد لا تكون بينها وبينك أية صفة مشتركة، ولكنكما مع ذلك قد تقابلتما هنا.. أن غصن الزيتون مباح للجميع.. وبين أعضائه شباب من روسيا والعراق وتركيا ومصر وأرمينيا وإيران.. جميعهم يقرأون نفس الكتب.. ويتبادلون وجهات النظر ويكتشفون حقائق الحياة.

وكان لفيكتوريا رأي آخر في فتيات غصن الزيتون اللائي يتهالكن علي أدوارد، أما كاترين بالذات فإنها لم تكن تتمني أن تنشأ بينهما أية صداقة.

ومضي الدكتور راتبون في حديثه.. قائلا:

- إن ادوارد شاب رائع.. وله قدرة عجيبة علي التفاهم مع الفتيات رغم أنهن

جميعاً يعبدونه.

وابتسم الدكتور واستطرد قائلاً: إنما أردت بهذا كله أن أقول لك أننا سنكون سعداء إذا عملت معنا.

قال ذلك وبسط لها يده فادركت أن المقابلة انتهت وشدت علي يده وانصرفت.. ومرت في طريقها بكاترين.. وكانت هذه تتحدث مع فتاة أخري خيل لفيكتوريا أنها رأتها قبلاً في مكان ما.. وكان حديثهما بلغة غريبة لم تفهم منها فيكتوريا كلمة واحدة.. وأكثر من ذلك أنهما كفتا عن الكلام حين ابصرتا بها.

وسارت فيكتوريا في طريقها إلي الفندق، وحاولت أن تتناسي دقة مركزها كفتاة وحيدة وبلا نقود في بلد غريب، بالتفكير في أمر الدكتور راتبون ومعهد غصن الزيتون.

لقد قال لها ادوارد في لندن إنه عمل يثير الريبة.. فهل كان يعني بذلك الدكتور راتبون أم غصن الزيتون؟

كان رأيها الشخصي في الدكتور راتبون أنه عالم مجنون يعيش في حلم مستحيل التحقيق ولكنه لا يمكن أن يكون محتالاً أو.

صحيح أنها لاحظت أن موقفه مثلاً قد تغير حين قالت له إنها تريد عملاً بأجر.. ولكن ذلك دليل علي أنه رجل منطقي متزن التفكير.

أن هناك أشخاصاً يضايقهم أن يدفعوا أجراً للذين يعملون معهم.. وقد قابلت فيكتوريا كثيرين من هذا الطراز.. ومنهم علي سبيل المثال مستر جرينهولز.

***

فاتورة الحساب



عادت فيكتوريا إلي الفندق متعبة مورمة القدمين، ورآها ماركوس من بعيد، فدعاها إلي الجلوس وتناول قدحا من الشراب، وقدمها إلي رجل كان يجالسه ويدل مظهره علي عدم عنايته بهندامه.

قال: دعيني اقدمك إلي مستر داكين.. هذه هي مس جونز التي جاءت أخيراً من انجلترا يا مستر داكين ماذا تتناولين يا مسز جونز؟ مارتيني؟ ويسكي؟ فطلبت قدحاً من المارتيني.. بينما قنع داكين بقدح من عصير الليمون.

ولمح داكين مسز كارديو ترينش، فدعاها للانضمام إليهم، وقال يحدثها:

- لاشك أنك تعرفين مستر داكين.. هل تسمحين لي بأن أقدم لك قدحاً من الشراب؟

فأجابت السيدة:

- لا بأس بقدح من الجين بالصودا.

وحيت داكين باحناء رأسها وقالت تحدث فيكتوريا:

- يخيل إليّ أنك متعبة.. هل ذهبت إلي مكان ما؟

- بل قمت بنزهة في السوق.. أن فيها أشياء كثيرة تستحق أن يراها الأجانب.

وجاءهم الخادم بأقداح الشراب وما هي إلا لحظة حتي قدم زائر جديد.. قدمه ماركوس إلي فيكتوريا باسم الكابتن كروسبي.. وسألها هذا الأخير:

- هل قدمت منذ مدة طويلة؟

- منذ أمس.

- هذا ما ظننته، فانني لم أرك هنا قبل اليوم.

فقال ماركوس وهو يبتسم: إنها فاتنة.. أليس كذلك؟.. أنني أفكر في إقامة مأدبة عشاء تكريماً لها.

قالت مسز ترينش تحدث كروسبي:

- كنت أظن أنك في البصرة.

- أنني عدت منها أمس.

ورفع بصره إلي إحدي شرفات الفندق وقال:

- من هذا السيد الأنيق الذي يجلس في الشرفة ويضع علي رأسه قبعة عريضة كقبعات أهل المسكيك.

فأجاب ماركوسي:

- أنه السير روبرت كروفتون لي.. أنه رجل ظريف.. ورحالة مشهور.. يقضي جل وقته في ارتياد الصحاري علي ظهور الجمال.

- لقد سمعت عنه وقرأت أحد كتبه.

وقالت فيكتوريا:

- إنني وصلت معه في نفس الطائرة.

ثم استطردت قائلة بقلة اكتراث:

- ولكن يخيل إلي أن شيئاً فيه قد تغير.

وشعرت بشيء كثير من الخيلاء، لأن داكين وكروسبي لم يحولا أنظارهما عنها.

وبعد قليل، استأذنت فيكتوريا في الانصراف وصعدت إلي غرفتها وهناك تمددت علي فراشها وراحت تفكر.

أن ثروتها لم تعد تتجاوز ثلاثة جنيهات.. وهي الآن تدين للفندق بأكثر من هذا المبلغ.. وإذا لم يكن ماركوس قد طالبها بشيء حتي الآن، فمن المؤكد أنه سيقدم لها فاتورة الحساب بعد يومين أو ثلاثة.. أو في نهاية الأسبوع علي الأكثر.. أفلا يحسن بها أن تبادر من الآن إلي البحث عن فندق رخيص؟

أن كل آمالها تتركز الآن في ادوارد.. ولكن متي سيعود ادوارد من البصرة؟ وهل سيذكرها متي عاد؟ ثم من يكون ادوارد هذا؟ أنها لا تعرف حتي لقبه.. لقد ارتكبت خطأ جسيماً حين قررت القدوم إلي بغداد وها هي الآن بلا مال أو عمل..

وليس هناك من تستطيع الالتجاء إليه في طلب النصيحة.

أن ماركوس.. رجل طيب ولكنه لا يصغي إلي محدثه.. ومسز ترنش.. سيدة محترمة ولكن يبدو من سلوكها أنها لا تثق بأحد.. أما الدكتور راتبون فإنه لا يهتم بأمرها علي الاطلاق.

وكانت لاتزال تفكر في أمرها حين غلبها النعاس فاستغرقت في النوم... وفي هذه الأثناء، كان كروسبي وداكين يتجاذبان أطراف الحديث بعد أن انصرف ماركوس ومسز ترنيش.

قال الأول في همس:

- ما رأيك في الفتاة؟

- يبدو أنها ابنة أخ بونسفوت جونز.. عالم الآثار.

- ولكنها قدمت علي نفس الطائرة مع كرفتون لي؟

- لهذا يجب أن نتحري عنها.

قال ذلك ثم نظر إلي ساعته، واستطرد قائلاً:

- سأذهب لمقابلة كرفتون لي.

وفتح باب غرفة السير روبرت قبل أن يقرعه داكين.

ولم يكن بالغرفة سوي مصباح صغير علي مقربة من المقعد الذي كان يجلس عليه السير روبرت قبل أن ينهض لاستقبال ضيفه.

ووضع السير روبرت المسدس الذي كان بيده علي المائدة وقال وهو يجلس: هل تظن أنه سيأتي يا داكين؟

- أعتقد ذلك يا سير روبرت.. ألم يسبق لك أن قابلته.

- كلا.. ولكن سوف يسعدني أن أتعرف بشاب ذكي وشجاع مثله، هل اتخذت جميع الاحتياطات اللازمة؟

- نعم.. أن كروسبي في الشرفة.. أما أنا فسأكمن في الدهليز لمراقبة السلم.. ومتي جاء كارمايكل إلي غرفتك فأطرق الباب ثلاث مرات فأنضم اليكما.

- سأفعل ذلك.

وغادر داكين الغرفة في هدوء كما دخلها.

المجرم الهارب



كانت فكتوريا قد عقدت عزمها علي أن تنام ملء جفنيها وتنسي همومها جميعاً حتي صباح اليوم التالي ولكنها كانت قد قضت وقتاً طويلاً في فراشها بعد الظهر، فاستيقظت بعد نحو ساعة، وعبثاً حاولت التغلب علي الأرق الذي استولي عليها، وأخيراً أضاءت النور وقررت أن تمضي في قراءة قصة كانت قد بدأتها في الطائرة.

وفرغت من قراءة القصة، وأخذت تشغل نفسها بتجربة جورب النايلون الذي أهدتها اياه مسز كليب، ثم شرعت في تدبيج بعض الرسائل لطلب وظيفة.

وبعد قليل تثاءبت وأحست بالخمول، فأوت إلي فراشها.

ولكنها ما كادت تفعل ذلك حتي فتح باب غرفتها فجأة ودخل منه رجل استدار إلي الباب وأغلقه بالمفتاح.. وهتف بها بصوت مرتجف:

- أخفيني بحق السماء.. وأسرعي.

وكانت فيكتوريا دائماً سريعة الخاطر، وبنظرة واحدة، سجل ذهنها الحقائق التالية: أن الرجل يلهث.

أن صوته لا يكاد يسمع.

أن يده التي تضم الشنطة فوق صدره ترتجف.

أن الغرفة لا يكاد يكون لها مخبأ لأخفائه.

وانصرف تفكيرها علي الفور إلي الفراش وكان فسيحاً.
قالت تحدث الرجل: أسرع.
ورفعت الأغطية، وأرقدت الرجل علي الفراش بجوارها، وغطته.. ووضعت وسادتين فوقه.. وجلست علي حافة الفراش.
وفي نفس اللحظة سمعت طرقاً علي الباب فهتفت قائلة:
- من الطارق؟
وجاء الجواب: الشرطة.. افتحي الباب.
فضمت غلالتها حول جسدها واتجهت نحو الباب.
ولما لمحت شملة زائرها الغامض ملقاة علي الأرض، فتناولتها وأخفتها في أحد الأدراج.. ثم فتحت الباب ووجدت نفسها أمام شاب أسود الشعر، يتبعه رجل في ثياب الشرطة.
سألت بصوت تعمدت أن يرتجف: ماذا حدث؟
فأجاب الشاب بإنجليزية مقبولة:
- يؤسفنا يا آنسة أننا أزعجناك في مثل هذه الساعة، ولكننا نطارد مجرماً هارباً لجأ إلي هذا الفندق ونحن بسبيل البحث في جميع الغرف.. أنه مجرم خطير إلي أقصي حد.
- يا الهي!!
وفتحت الباب علي مصراعيه وسمحت لرجلي الشرطة بالدخول. ولكن عملية التفتيش لم تستغرق سوي لحظة.. ثم قال الشاب:
- إنه ليس هنا.
- هل أنت واثق من ذلك؟ الواقع أنني تعودت أن أغلق الباب بالمفتاح قبل أن أنام ولكن..
- اطمئني يا آنسة.. في استطاعتك أن تعودي إلي فراشك.
- يجب أن أغلق الباب خلفكما بالمفتاح.. ذلك أضمن.
- ذلك أضمن فعلاً.. شكراً لك يا آنسة.. أرجو لك ليلة سعيدة.

وانصرف الرجلان، وسمعتهما فكتوريا يطرقان باب الغرفة المقابلة، ثم سمعت صوت مسز ترينش وهي تصيح مستنكرة، واستمر الشرطيان يطرقان الأبواب حتي ابتعدا عن غرفتها.

واقتربت فيكتوريا من الفراش وهي تلوم نفسها لاقدامها علي مساعدة رجل غريب لمجرد أنه يتكلم لغتها.. دون أن تفكر في أن هذا الرجل قد يكون مجرماً خطيراً كما قال الشرطي.

ووقفت أمام الفراش وقالت كلمة واحدة: انهض!!

ولكن الرجل لم يتحرك فقالت بصوت خافت:

- لقد رحلا.. في استطاعتك أن تنهض.

ولما لم تر حركة أو تسمع جواباً، رفعت الأغطية بحدة ورأت الرجل جامداً في مكانه مغمض العينين ووجه في لون الرماد ولاحظت في ذات الوقت وجود بقعة كبيرة من الدم علي الأغطية، فاستولي عليها الذعر وغمغمت:

- كلا.. كلا.. كل شيء إلا هذا!

وفي هذه اللحظة فتح الرجل الجريح عينيه ونظر إليها وتحركت شفتاه، ولكن صوته كان خافتاً جداً فلم تسمعه، وانحنت فوقه وسألت:

- ماذا قلت؟

وتحركت شفتاه مرة أخري.. وخيل لفيكتوريا أنها سمعت كلمتين لم تفهم لهما معني:

- لوسيفر.. البصرة.

وتحركت شفتاه مرة أخري بعد قليل.. ولكن فيكتوريا لم تتبين جيداً ما قال.

ثم اهتزت أهداب الرجل بسرعة، وجمدت عيناه في محجريهما ولم يبد حراكاً بعد ذلك.

وتسمرت فكتوريا في مكانها وخفق قلبها بشدة.

لقد أحست بالرثاء لهذا الرجل الذي أسلم الروح أمامها في التو واللحظة.. ولكن ماذا ينبغي عليها أن تفعل الآن؟

لم تكن لديها أية فكرة!!

هل تستغيث؟ ولكن بمن؟

وماذا ستقول لرجال الشرطة إذا طلبوا منها ايضاحا؟

وسمعت جلبة فنظرت خلفها، ورأت مفتاح الباب يسقط علي الأرض، وفي نفس اللحظة فتح الباب ودخل مستر داكين في هدوء.

قال بصوت خافت: أحسنت يا بنية!! أنك تفكرين بسرعة.. وتعملين بسرعة.. كيف حاله؟

- أظن أنه.. مات.

وخيل إليها أنها رأت عيني الرجل تتألقان غضباً.. ولكنه سرعان ما تمالك نفسه.. ولمحت فيكتوريا في وجهه سمات الرجل الحازم النشط المتوقد ذكاء.. رجل يختلف تماماً عما عرفته عن داكين وانحني هذا الأخير فوق الفراش، وكشف عن صدر الميت، وغمغم قائلاً:

- طعنة خنجر في القلب تماماً.

ثم أردف في أسي:

- كان رجلاً باسلاً.

فقالت فيكتوريا:

- منذ لحظة كان هنا شرطيان قالا إنه مجرم خطير فهل كان مجرماً حقاً؟

كلا بغير شك.

- وهما؟ هل كانا من الشرطة؟

- لا أعلم.. ربما.. علي أن ذلك لا يغير من الأمر شيئاً.

ثم قال بعد قليل:هل قال شيئاً قبل أن يموت؟

- نعم.

- ماذا قال؟

- قال «لوسفر» ثم «البصرة».. ثم نطق باسم يخيل إليّ أنه فرنسي.. ولكني لم أسمعه جيداً.

- ماذا كان ذلك الاسم؟

- «لافارج».. فيما أظن. لافارج.

- ولكن ما معني كل هذا؟ وماذا يجب أن أفعل الآن؟

فأجاب داكين: سنفعل كل ما في وسعنا لإبعادك عن هذا الموضوع.. أما معني هذه الأحداث فذلك ما سوف أصارحك به عندما نجلس معاً، المهم الآن هو أن نتصل بماركوس ونستطلع رأيه فهو صاحب الفندق وإنسان متزن التفكير رغم ثرثرته وهذره.. الساعة الآن الواحدة والنصف واعتقد أنه لم ينم بعد.

وانصرف داكين، وتهالكت فكتوريا في أحد المقاعد وهي تشعر كأنها في حلم.

وعندما عاد داكين ومعه ماركوس.. لم يكن هذا الأخير مرحاً كعادته.. ولم تكن علي شفتيه ابتسامته الخالدة المألوفة.

قال داكين:

- يجب أن تتعاون معنا يا ماركوس.. لقد اقتحم هذا الشخص هذه الغرفة وهو في الرمق الأخير وكان البوليس يطارده فاخفته مس جونز بدافع الاشفاق.. ولكنه مات.

أنها اخطاءت بغير شك.. ولكن ليس من الانصاف أن نلوم فتاة تصرفت بدافع مشاعرها النبيلة.

فقال ماركوس:

- هل تريد أن أوضح الأمر لرجال الشرطة؟ أنني لا أحبهم.. ولا أود التعامل معهم.

فقال داكين:

- إن كل ما نريده.. هو نقل الجثة من هنا دون أن نثير انتباه أحد.

- أنني أرحب بذلك من كل قلبي.. فلست أحب أن يقال إن جثته وجدت في فندقي.. ولكن كيف؟

- أعتقد أن ذلك ميسور.. هل يوجد في أسرتك طبيب؟

- نعم.. بول.. زوج أختي.. أنه شاب ظريف ولكني لا أريد أن أجلب له المتاعب.

- لن تكون هناك متاعب.. ستنقل هذه الجثة أولاً إلي غرفتي.. وبهذا تنتهي صلة مس جونز بالموضوع وبعد قليل سيأتي إلي الفندق رجل ثمل ويطلب مقابلتي ويصعد السلم وهو يترنح ولكنه لا يكاد يصل إلي غرفتي حتي يغمي عليه فاتصل بك وأطلب طبيباً فيحضر زوج أختك ويستدعي سيارة الاسعاف ويرافق صديقي السكير في السيارة إلي المستشفي، ولكن صديقي يموت في الطريق.. لأنه كان مصاباً بطعنة في قلبه قبل أن يصل إلي الفندق.

- ويترك زوج أختي الجثة في المستشفي، وغداً صباحاً يغادر السكير المزعوم الفندق في هدوء دون أن يثير ريبة أحد.. أليست هذه هي الخطة؟ تماماً.

- والنتيجة.. أن الجثة لا توجد في فندقي.. وأن مس جونز لا تواجه متاعب من أي نوع.

- نعم ولكن عمال الفندق يتجولون في الأروقة إلي ساعة متأخرة من الليل، فعليك أن تشغلهم بشيء ما ريثما أنقل الجثة إلي غرفتي.

- حسناً.. سأدعوهم للاجتماع بي في مكتبي لكي أبدي لهم بعض الملاحظات الهامة.

وانصرف ماركوس، وقال دراكين يحدث فيكتوريا:

- هل يمكنك مساعدتي في نقل الجثة؟

فأومأت برأسها علامة الايجاب.. وبعد بضع دقائق كانت الجثة مسجاة علي فراش داكين.

وقال داكين يحدث فيكتوريا: هل لديك مقص؟ حسناً.. عودي إلي غرفتك وقصي من الأغطية المنطقة الملوثة بالدم وسألحق بك بعد ساعة.

- وهل ستوضح لي معني كل هذا؟

فنظر إليها طويلاً.. ولكنه لم يجب علي سؤالها.

***

الـــورطـــة



اطفأت فيكتوريا النور في غرفتها وأرهفت أذنيها. وسمعت مناقشة اشترك فيها رجل ثمل لا يبدو أنه يهتم براحة الآخرين، ثم سمعت رنين أجراس ووقع خطي كثيرة في الدهليز.. وبعد فترة من الوقت ساد صمت عميق لم يشبه سوي نغمات موسيقي عربية منبعثة من غرفة بعيدة.

وخيل لفيكتوريا أنها انتظرت ساعات طويلة قبل أن يفتح باب غرفتها أخيراً في هدوء.. فاعتدلت في فراشها، وأضاءت المصباح الخافت الضوء، بينما جلس داكين علي حافة الفراش وراح ينظر إليها بإمعان كما ينظر الطبيب إلي المريض قبل أن يصارحه بنتيجة الفحص. وتكلمت فيكتوريا أولاً، قالت:

- ألا توضح لي معني كل هذا؟

فأجاب داكين:

- سأوضح لك كل شيء إذا تحدثنا عنك أولاً، وإذا ذكرت لي ماذا تفعلين هنا وماذا جاء بك إلي بغداد.

وبدأت فيكتوريا تتكلم، ويبدو أنها تأثرت بشخصية داكين القوية فلم تحاول الكذب. وبعبارات واضحة روت قصتها دون أن تخفي شيئاً، فذكرت كيف قابلت ادوارد، وكيف قررت القدوم إلي بغداد مهما كلفها الأمر والمعجزة التي حدثت بظهور مسز كليب، والمأزق المالي الذي تعانيه في الوقت الحاضر. فقال داكين:

- فهمت!

ثم استطرد قائلاً بعد صمت طويل:

- كنت أود أن أجنبك التورط في هذه القضية ولكن كان ذلك مستحيلاً، لأنك تورطت فعلاً، وغرقت في القضية حتي أذنيك، وما دام الأمر كذلك فلماذا لا تعملين لحسابي؟

أحمر وجهها فرحاً وهتفت: هل تعرض عليّ عملا؟

- نعم.. ولكنه عمل يختلف عن جميع الأعمال التي زاولتيها.. عمل.. حافل بالاخطار.

- ولكنه شريف.. أليس كذلك؟ صحيح أنني ألجأ إلي الكذب في بعض الأحيان.. ولكن لا أقدم أبداً علي عمل يحرمه القانون.

فابتسم داكين وأجاب:

- الواقع أنني لم أفكر فيك إلا لبراعتك في الكذب. أن العمل الذي حدثتك عنه شريف فاطمئني.. أنك ستعملين في جانب النظام والقانون.. وسأوضح لك الموقف بالقدر الذي يساعدك علي فهم مهمتك ومعرفة الأخطار التي قد تتعرضين لها.. أنك لا تفتقرين إلي حسن الادراك، ولكن من المحقق أنك لم تتوفري في يوم ما علي الإلمام بمشكلات السياسة الدولية.

فأطرقت فيكتويا برأسها علامة الايجاب وقالت:

- إن كل ما أعلمه أن العالم يعيش فوق بركان وأن الحرب قد تقع بين يوم وآخر.

- ذلك ما يقال فعلاً.. هل تعلمين لماذا؟

- بسبب اختلاف المذاهب السياسية.. في أمريكا وروسيا.

- أري أنك قد قرأت بعض الصحف، واستمعت إلي بعض الإذاعات.. أن ما ذكرته هو الحقيقة علي وجه التقريب، فهناك عقيدتان سياسيتان.. تمثل الولايات المتحدة الأمريكية احداهما، وتمثل روسيا الأخري. ولا شك أن أمل العالم في المستقبل انما يتوقف علي السلام، وأن السلام لن يتوطد، إلا إذا اعترفت كل من هاتين الدولتين بحق الأخري في اعتناق المذهب السياسي الذي يوائمها وتطبقه في مناطق نفوذها فحسب، أو إذا اتفقتا علي التعايش والتعاون.. ولكن من سوء الحظ أن ما يحدث هو عكس ذلك تماماً.

وأن الهوة بين المعسكرين تزداد عمقاً يوماً بعد يوم، حتي انتهي الأمر ببعض الناس إلي التساؤل.. ألا يمكن أن يكون تعميق الخلافات بين هذين المعسكرين من عمل قوة ثالثة لا نعرفها في الوقت الحاضر؟.. ذلك لأنه كلما حدث تقارب بين المعسكرين الرئيسيين وكلما لاحت تباشير اتفاق بينهما، وقع حادث أفسد كل شيء، وأثار شكوك كلا من المعسكرين ومخاوفه من المعسكر الآخر.

وهذه الأحداث التي تفرق بين المعسكرين ليست وليدة المصادفات.. أنها مقصودة، ومدبرة.

- مدبرة.. لماذا؟ وكيف؟

- كيف؟ أن الوسائل كثيرة.. وأهمها المال.. أن المال وراء كل ما يحدث في العالم اليوم، ومصدره في القضية التي نحن بصددها لايزال موضع شك.

أننا نري بين وقت وآخر اضرابات واضطرابات عمالية تحدث فجأة هنا وهناك فتزعزع مراكز حكومات تعمل في الواقع لمصلحة شعوبها.. أن العمال يقدمون علي الإضراب بسلامة نية، ظناً منهم أنهم يدافعون عن مصالحهم وحقوقهم.. ولكن من أين يأتي المال الذي يمول الاضرابات والحركات العمالية؟ أن أموالاً ضخمة تختفي من الأسواق ولا أحد يعرف مصيرها، وكميات هائلة من الماس والأحجار الكريمة تشتري من أسواق متعددة.. ثم تختفي ولا أحد يعلم أين ذهبت.

- ولكن.

- أن ما أريـدك أن تفهميه يا فيكتوريا، هو أن هناك جماعة لا نعرف نواياها علي وجه التحديد، ولها مصلحة في تعميق الخلاقات بين المعسكرين الكبيرين، ولدينا من الأسباب ما يحملنا علي الاعتقاد بأن لهذه الجماعة وكلاء في جميع بلاد العالم، وأن بعض هؤلاء الوكلاء يشغلون مراكز خطيرة.. فهم طابور خامس لا يعمل علي المستوي القومي فحسب، وانما يعمل كذلك علي المستوي العالمي.

- ولكن من هم هؤلاء الوكلاء؟

- نحن نظن أنهم أناس ليست لهم جنسية محددة، يخشون أن يعم السلام

ويسود الرخاء.. ويعتقدون أنهم الفئة المختارة لاخضاع هذا العالم المنحل لإرادتهم وفرض سلطانهم ونظامهم عليه قوة وقهراً.

هذه الجماعة التي لا أستطيع تعريفها بطريقة أدق، تباشر نشاطها من خلال مراكز متعددة أحدها في الارجنتين وآخر في كندا.. وثالث - وربما أكثر - في الولايات المتحدة الأمريكية.. وقد لوحظ خلال العامين الآخيرين، أن ثمانية وعشرين من كبار العلماء الذين ينتمون إلي جنسيات مختلفة.. اختفوا تماماً كما لو كانت الأرض قد انشقت وابتلعتهم.. لا أحد يعلم أين ذهبوا.. أو ماذا كان مصيرهم.. وقد حدث مثل ذلك لكثيرين من الطيارين والمهندسين والفنيين، كذلك لوحظ أنهم جميعاً من الشبان الطموحين الذين ليست لهم روابط عائلية.

فأين ذهبوا؟ لا أحد يعلم.. ولكن بدأت تتكون لدينا فكرة عما في استطاعتهم أن يفعلوا.

وكانت فيكتوريا تصغي في اهتمام وشغف، فمضي داكين في حديثه.. قال:

- في هذا العصر الذي نعيش فيه، يصح أن يقال إنه لا يوجد بلد يمكن أن تقام فيه مصانع ضخمة تنتج في سرية تامة.. ومع ذلك فإنه توجد مناطق نائية بعيدة عن العمران وعن خطوط المواصلات.. تحيط بها الجبال والصحاري.. وتسكنها قبائل تبغض الأجانب والدخلاء ولم يجرؤ علي ارتيادها سوي عدد قليل جداً من المغامرين.

في مثل هذه المناطق، يمكن أن تحدث أمورا لا يعرف عنها العالم الخارجي شيئاً.

وهناك منطقة بعينها، يصل إليها الإنسان عن طريق الصين أو باجتياز الهيمالايا في رحلة شاقة طويلة، وعلي الرغم من ذلك فأنهم أرسلوا إليها الآلات والمواد، والموظفين من شتي أنحاء العالم.

رجل فذ واحد ارتاب في الأمر.

رجل ولد في «قشجار» وأجاد الحديث بلغات الشرق ولهجاته، وله أصدقاء واتصالات في كل مكان.

هذا الرجل وقع علي الأثر وتتبعه، ولما عاد إلي العالم المتحضر.. قدم

تقريراً لم يصدقه رؤساؤه لفرط غرابته.. فلم يسعه آخر الأمر إلا الاعتراف بأنه ربما كان محموماً يهذي أو كان يحلم. شخصان فقط صدقا ما جاء في التقرير.. كنت أنا احدهما.. فلقد حدثت المستحيلات أمام عيني أكثر من مرة.. مما جعلني أنبذ التشاؤم.

أما الشخص الآخر فكان السير روبرت كروفتون لي، الرحالة المشهور.. الذي زار بنفسه تلك المنطقة وقال إنها يمكن أن تنطوي علي مفاجآت مذهلة.

وتشجع كارمايكل - وهذا هو اسم الرجل الفذ الذي ذكرته - وقرر أن يذهب إلي المنطقة لتقصي الحقيقة.

كانت رحلة محفوفة بالأخطار، ولكنه كان كفؤا لها.

وبدأ كارمايكل الرحلة منذ تسعة أشهر، ولكن لم تصلنا أنباؤه إلا منذ بضعة أسابيع.. فعلمنا أنه تحقق من صدق روايته.. وأنه في طريقه إلينا ومعه الأدلة.. ومزيد من المعلومات.

غير أن الأعداء اكتشفوا أمره.. الأعداء الذين يهمهم إلي أقصي حد ألا يعود بالأدلة.. فوضعوا الرقابة علي الحدود.. وقتلوا بعض الأبرياء لمجرد الشبهة في أن يكون أحدهم هو كارمايكل ورغم ذلك استطاع كارمايكل الافلات.. وظل سليماً معافي حتي مساء اليوم.

- إذن فالرجل الذي قتل الليلة.. كان هو؟

- نعم.. كان هو.

- والأدلة التي جاء بها.. هل سلبوه أياها؟

- فارتسمت علي شفتي داكين ابتسامة باهتة وأجاب:

- أن من يعرف كارمايكل كما أعرفه.. يرتاب في ذلك.. مما لاشك فيه أنهم لم يسلبوه الأدلة كل ما في الأمر أنه مات دون أن ينقلها إلينا أو يرشدنا إلي مكانها، لقد حاول ذلك واعتقد أن كلمات «لوسيفر - البصرة - لافارج» هي مفتاح السر.

لقد مر بالبصرة وذهب إلي القنصلية ليقدم تقريره ولكنه كاد يقتل في قاعة الانتظار.. وأنا اعتقد أنه ترك الأدلة التي ننشدها في مكان ما بالبصرة،

وأريدك أنت أن تذهبي إلي هناك للبحث عنها. أنا؟

- نعم.. أنت، أنك تفتقرين إلي الخبرة ولا تعرفين الشيء الذي تبحثين عنه.. ولكنك سمعت آخر كلمات نطق بها كارمايكل، فإذا ذهبت إلي البصرة فإن هذه الكلمات قد توحي إليك بشيء.. من يعلم؟ أن الحظ يخدم «الغشيم» كما يقول المثل.

- كم يسعدني أن أذهب إلي البصرة!!

قالت ذلك بحماسة فلم يتمالك داكين نفسه من الابتسام.. قال:

- لأن صديقك هناك!! سبب معقول.. لن يرتاب فيه أحد ولن نجد أفضل منه. أذهبي إذن إلي البصرة وافتحي عينيك وأذنيك وأنظري حولك جيداً.

أنا لا أستطيع أن أصدر إليك أية تعليمات.. واعتقد أن ذلك أفضل.. فأنت لا تنقصك سعة الخيال، ولا سرعة الخاطر.

أبحثي عن معني كلمتي «لوسيفر» و«لافارج».. وأنا أعتقد مثلك أن «لافارج» هو اسم أحد الأشخاص.

- ولكن كيف أذهب إلي «البصرة».. ومن أين لي بالنقود؟

فاخرج داكين حافظة نقوده، وقدم للفتاة حزمة من الأوراق المالية وهو يقول: أما النقود فها هي.. وأما الرحلة فعليك أن تقابلي غدا مسز كارديو ترينش، تلك العجوز الثرثارة، قولي لها في معرض الحديث أنك تريدين السفر إلي البصرة للحاق ببعثة عمك المزعوم الأستاذ بونسفوت جونز.. واطلبي إليها أن تدلك علي فندق هناك، وستجيبك بأن القنصلية سوف يسرها أن تستضيفك، وأنها ستبرق إلي مسز كلايتون زوجة القنصل لكي تستقبلك.. وأعتقد أنك ستقابلين ادوارد هناك. أن جميع الانجليز الذي يمرون بالبصرة ينزلون في ضيافة آل كلايتون ونصيحتي الأخيرة إليك.. هي أنك إذا وقعت في مأزق وطلب إليك الافضاء بما تعلمين، ولحساب من تعملين.. فلا تصطنعي الشجاعة والبطولة.. بل اعترفي بكل شيء.

- يسرني أن أسمع ذلك.. ولكني قوية الإرادة ومهما عذبوني فلن أنطق

بكلمة.

- لن يعذبك أحد، فالتعذيب وسيلة عتيقة.. أن حقنة صغيرة تكفي لان تحل عقدة لسانك.. وتجعلك تجيبين بصدق واخلاص علي كل ما يلقي عليك من اسئلة.. ولذلك لا ينبغي الاحتفاظ بأسرارك إذا كان الثمن باهظاً.. وهم فضلاً عن ذلك يعرفون كل شيء ولن يجدوا في اعترافاتك أية معلومات جديدة.

أن ما حدث الليلة لا يدع لديهم مجالاً للشك في الدور الذي أقوم به.. أو الدور الذي يقوم به السير روبرت.

- وادوارد.. هل أطلعه علي مجري الأمور؟

- ذلك لن أتركه لك.. المفروض من حيث المبدأ ألا يعلم أحد بمهمتك في البصرة.. أما من الناحية العملية.

ونهض واقفاً دون أن يتم عبارته، ثم استطرد قائلاً:

- إذا أنت صارحتيه بكل شيء.. فإنه سيتعرض لنفس الأخطار مثلك.. ولكني أعلم أنه كان طياراً وأنه أبلي بلاء حسناً في الحرب.. ولذلك أعتقد أن الأخطار لن تخيفه.. هل قلت لي أن معهد «غصن الزيتون» الذي يعمل فيه إدوارد يثير ريبته؟ إذا صح ذلك كان أمراً خليقاً بالاهتمام. - لماذا؟

- لأن ذلك هو انطباعنا نحن أيضاً عن هذا المعهد.

والآن سأقول لك شيئاً آخر قبل أن أنصرف.. حاولي الا تتورطي في أكاذيب ضخمة.. وافتحي أذنيك جيداً.. وإذا سمعت اسم هيلين شير فافتحيهما أكثر وأكثر.

- هيلين شير؟ من هي؟ نحن لا نعرف عنها إلا القدر اليسير.. ولكن يهمنا أن نعرف المزيد.

***

القنصلية



هتفت مسز كارديو ترينش قائلة: فندق المطار؟ كلا.. لا تفكري في ذلك.. يجب أن تقيمي بدار القنصلية.. أن كلايتون وزوجته سيسرهما أن يرياك.. أنني أعرفهما منذ سنوات عديدة، ثم أنهما من أصدقاء الدكتور بونسفوت جونز.. سأبرق إليهما الآن وعليك أن تستقلي قطار المساء.

وأحمر وجه فيكتوريا. أن كذبة أسقف «لانجو» كانت أفضل من كذبة بونسفوت جونز الذي يحتمل في أية لحظة أن تجد نفسها معه وجهاً لوجه. علي أن الرحلة كانت بالنسبة إليها شيئاً جديداً مثيراً.. وقد وجدت سيارة رسمية بانتظارها في محطة البصرة.. فاستقلتها إلي دار القنصلية.

كانت القنصلية تشغل «فيلا» كبيرة تحيط بها حديقة مترامية الأطراف، وبالطابق الأول من الفيلا شرفة فسيحة تدور حول المبني كله.

وقد خفت مسز كلايتون لاستقبال فيكتوريا بالباب وهتفت وعلي شفتيها ابتسامة ساحرة: كم يسرنا أن نراك أيتها العزيزة.. أن البصرة رائعة في هذا الفصل من السنة.. والجميع يعلمون ذلك ويسارعون للاقامة فيها.. وأحياناً كنا نجد صعوبة في توفير مكان لجميع الزائرين.. ولكن من حسن الحظ أن الأمر يختلف الآن.. فليس لدينا سوي ضيف واحد يعمل مع الدكتور راتبون وهو شاب ظريف سوف تقابلينه.. وقد فاتتك مقابلة ريتشارد بيكر الذي رحل أمس، وهو أيضاً شاب مهذب يعد من خيرة علمائنا الشباب.

وفكرت فيكتوريا.. تري من يكون ريتشارد بيكر هذا؟ لعل من الخير أنه رحل.. فإن أحداً لا يهمها سوي ادوارد.

ومضت مسز كلايتون في حديثها قالت:

ـ لقد رحل إلي الكويت لقضاء يومين هناك.. ولكن حدثيني ايهما تفضلين أولا.. الاستحمام أم الغذاء؟

وفضلت فيكتوريا الاستحمام أولاً.. ورافقتها مسز كلايتون إلي غرفتها.. وهناك اغتسلت وصففت شعرها وأصلحت زينتها استعداداً للقاء الرجل الوحيد في حياتها. كان يهمها أن تنفرد به أولاً ولو لفترة قصيرة حتي لا تفتضح صلتها المزعومة بالدكتور بونسفوت جونز.. فأطلت من الشرفة وراحت ترقب قدومه.

وبعد قليل رأت رجلاً طويل القامة نحيفاً يجتاز الحديقة فتوارت عنه في غرفتها، حتي إذا سمعت وقع قدميه علي سلم القنصلية عادت إلي مكانها في المقصورة.

وما هي إلا لحظة حتي أبصرت بأدوار يجتاز الحديقة فهتفت بصوت خافت: أدوارد.. أدوارد.

ورفع الشاب رأسه ولاحظت أنه أكثر وسامة مما كان عندما قابلته في لندن فهمست قائلة: اقترب.

فنظر إليها في دهشة وهتف: مستحيل!! أنني لا أصدق عيني.

فهمست قائلة: أبق حيث أنت وسألحق بك. وهبطت السلم مسرعة ووجدت ادوارد في مكانه وقد تملكته الدهشة.

قال حالما رآها: إنني لا أصدق عيني.. أهذه أنت حقا؟

- هانذا بلحمي وعظمي... ولكن ماذا تفعلين هنا.. وكيف جئت؟ كنت أظن أنني لن أراك أبداً.

- ذلك ما ظننته أنا أيضا.

- ولكن ماذا جاء بك هنا؟ - الطائرة.

- مفهوم.. ولكن أية مصادفة سعيدة ساقتك إلي البصرة؟ كيف قدمت إلي

هنا؟ - بالقطار.

- يالك من خبيثة!! أجيبي بحق السماء!!

- لقد جئت برفقة سيدة أمريكية كسرت ذراعها.. تدعي مسز كليب.. وقد عرضت علي مرافقتها غداة يوم رحيلك.. وكنت قد ضقت بلندن فقلت لنفسي أنه ليس ثمة ضرر من تغيير الجو.

- أنك رائعة يا فيكتوريا. وهذه المسز كليب. أهي هنا في البصرة؟

- كلا.. أنها رحلت لزيارة ابنتها في كركوك.. كان الاتفاق أن ارافقها خلال الرحلة إلي بغداد فحسب.

- وماذا تفعلين الآن؟

- مازلت أحاول الافادة من تغيير الجو.. وكان طبيعياً في سبيل ذلك أن ألجأ إلي الحيلة والخداع ولهذا حرصت علي التحدث إليك قبل أن نلتقي أمام الآخرين.. حتي لا تعلن علي الملأ أنني كنت في آخر لقاء بيننا مجرد كاتبة اختزال متعطلة.

- اطمئني.. قولي لي ماذا زعمت عن نفسك فأؤيد مزاعمك.

- زعمت أنني ابنة أخ الدكتور بونسفوت جونز عالم الآثار المشهور.. وأنني سألحق به بعد بعض الوقت.

- وطبعاً لا صحة لشيء من هذا كله؟ ولكن هبي أنك تقابلت مع الدكتور بونسفوت جونز؟

- أنني استبعد ذلك.. فقد قيل لي أن عالم الآثار إذا ابتدأ في إحدي الحفريات فإنه لا يبرح مكانه ولا يفكر في أي شيء آخر.

- قيل لي أنا أيضاً شيء بهذا المعني.. ولكن هل لبونسفوت جونز ابنة أخ حقاً؟

- ومن أين لي أن أعلم؟

- إذن فأنت لم تنتحلي شخصية فتاة أخري؟ أن هذا أقل خطورة.

- أليس كذلك؟ ثم أنني استطيع عند الضرورة أن أزعم أنني ابنة عمه.. ولكن تعودت أن أدعوه «عمي».

- أنك تفكرين في كل شيء يا فيكتوريا.. أنت فتاة مدهشة حقاً.. ولكن هل فكرت في مزاولة عمل ما؟

- أنني أسعي للحصول علي عمل، وقد ذهبت إلي «غصن الزيتون» وقابلت الدكتور راتبون فوافق علي أن عمل في المعهد ولكن مجاناً.

- ياله من وغد عجوز!! أنه يريد أن يعمل الناس معه حباً في الأدب والفن. هل هو محتال؟

فتردد ادوارد قليلاً قبل أن يجيب: الواقع أنني لا أستطيع أن أبدي رأياً، فهو يعمل من أجل فكرة، ويعمل باخلاص، والمعهد لا يدر عليه ربحاً.. ولكني مع ذلك لا أتمالك من الإحساس بأن في الأمر ما يريب.

فقالت فيكتوريا: هلم بنا ندخل، ولنتحدث في ذلك فيما بعد.

هتفت مسز كلايتون حالما أبصرت بهما:

- لم يخطر ببالي قط أن كلا منكما يعرف الآخر!!

فضحكت فيكتوريا وأجابت:

- أننا صديقان قديمان.. ولكني لم أتوقع أن أجده هنا.

وقال كلايتون، وهو الرجل الطويل النحيف الذي رأته فيكتوريا من شرفتها - محدثاً أدوارد: هل فرغت من عملك في الجمرك؟

- كلا.. ولاتزال صناديق الكتب في مكانها.. والافراج عنها يتطلب إجراءات لا نهاية لها. فابتسم كلايتون وقال: هكذا الحال في الشرق.. لا شيء يتم بسرعة.

- يخيل إليّ في بعض الأحيان أنهم يتعمدون الابطاء فالمسئولون قلما تجدهم في مكاتبهم عند الحاجة إليهم.. أن نواياهم تبدو طيبة، والجميع علي استعداد للتعاون والمساعدة ولكن لا شيء يتحرك من مكانه.

وضحك فقالت مسز كلايتون: لاشك أنك ستصل إلي نتيجة أن عاجلاً أو آجلاً.. وقد أحسن الدكتور راتبون باختيارك لهذه المهمة، ولولا ذلك لبقيت الصناديق في الجمرك شهوراً عديدة.

- منذ بدأت أحداث فلسطين وهم يخشون القنابل والمطبوعات المثيرة..

أنهم يرتابون في كل شيء.

فقالت مسز كلايتون وهي تنظر إلي زوجها:

- أرجو ألا يجدوا في صناديق الدكتور راتبون بعض القنابل.

فأجاب الزوج: يا صديقتي العزيزة، أن الدكتور راتبون عالم كبير وعضو في عدة أكاديميات، ورجل معروف ومحترم في أوروبا كلها.

وكان في صوته ولهجته معني التأنيب، ولكن زوجته تجاهلت ذلك وقالت: ما دام الأمر كذلك فإنه يستطيع الاشتغال بتهريب الأسلحة دون أن يثير ريبة أحد.

فلم يجب كلايتون، ورأت فيكتوريا علي وجهه دلائل الامتعاض.

وبعد الغذاء خرجت فيكتوريا وأدوارد للنزهة علي ضفة «شط العرب»، وتوغلا في سيرهما حتي وصلا إلي السوق، ثم عادا في الطريق إلي القنصلية.

وفجأة، قالت فيكتوريا لصاحبها:

- حدثني يا أدوارد.. ما هو لقبك؟.. أنك لم تذكر لي اسم أسرتك.

- يا الهي!! هذا صحيح.. ان اسمي كاملاً هو ادوارد جيرنج.

- الواقع أنني شعرت بشيء من الحرج حين ذهبت إلي غصن الزيتون.. للسؤال عن شخص لا أعرف عنه إلا أنه يدعي أدوارد.

- ألم تقابلي هناك فتاة ذات شعر أسود؟ - نعم.

- أنها تدعي كاترين، وهي فتاة ظريفة.. ولو قد ذكرت أمامها اسم ادوارد لعرفت علي الفور من تعنين.

- أنا واثق من أنك وكاترين سوف تصبحان خير صديقتين.

- لا أظن أن هناك ما يدعو للقائنا.

- ولم لا؟ أنني سأسعي لالحاقك بعمل في غصن الزيتون.

- كيف؟

- لا أعلم.. ولكني سأفكر في الأمر.. سأقول لراتبون أنك تجيدين الاختزال والكتابة علي الآلة الكاتبة.. ألخ.. ألخ.

- ولكنه سوف يلاحظ أن هذه ليست الحقيقة.

- مهما يكن الأمر، فسأجد لك عملاً في المكتبة.. لانني لا أرضي أن تقضي وقتك في الطواف هنا وهناك بحثاً عن وظيفة.. ولكني أصارحك من الآن بأن العمل في المعهد لن يكون سهلاً كما تتوهمين.

- ذلك بالإضافة إلي أن نشاط المعهد يثير الريبة.. أليس هذا هو رأيك؟ أعتقد أنني قلت ذلك.

- وأنا بدوري أعتقد أنك علي حق.

فتحول إليها وسأل بحدة: وماذا حملك علي هذا الاعتقاد؟

- بعض أمور سمعتها من أحد أصدقائي.

- من هو؟ - أحد الأصدقاء.

فقلب أدوارد شفته ولم يجب.. وقالت فيكتوريا بعد لحظة:

- حدثني يا أدوارد.. ألا يوجد بين المترددين علي غصن الزيتون شخص يدعي «لافارج»؟

- لافارج؟.. كلا.. من يكون لافارج هذا؟

- وهيلين شيل؟ ألا يذكرك هذا الاسم بشيء؟

وكان رد الفعل في هذه المرة سريعاً، فقد استدار أدوارد إلي فيكتوريا وأمسك بيدها بشدة وسأل: ماذا تعلمين عن هيلين شيل؟

- دع يدي يا أدوارد.. أنك تؤلمني.. أنا لا أعلم شيئاً عنها.. أني أسألك إذا كنت تعرف شيئا.

- من حدثك عنها؟ مسز كليب؟

- كلا.. لا أذكر تماماً.

- وماذا يحملك علي الظن بأن لهيلين شيل صلة بغصن الزيتون؟

- وهل اخطأت في هذا الظن؟

- لا أعلم.. لا أعلم.. كل شيء يبدو غامضاً.

وكانا قد وصلا إلي سور الحديقة فنظر أدوارد إلي ساعته وقال:

- يجب أن أذهب لمقابلة رجال الجمرك.. مما يؤسف له أنني لا أعرف اللغة

العربية، سأتركك الآن ولكن لوقت قصير.. فإن هناك أشياء كثيرة أريد أن أسألك عنها.

- وأنا لدي أشياء كثيرة أريد أن أقولها لك.

وفي المساء، خرج الشابان للنزهة مرة أخري، وشغلهما الحديث عن الاستمتاع بجمال الطبيعة في ضوء القمر.

وكانت فيكتوريا قد قررت مصارحة ادوارد بقصتها، فقالت:

- لقد بدأ كل شيء ببساطة تامة.. فتح باب غرفتي بفندق تيو.. ودخل رجل.. ولم يلبث الرجل أن مات بضربة خنجر.

- ماذا قلت؟ قلت إنه مات بضربة خنجر.. ولو قد استخدموا في قتله مسدساً لسمعت صوت الطلق الناري.. مهما يكن الأمر فإنه مات.

- مات ثم دخل غرفتك؟

- لا تكن مغفلا يا ادوارد.

وسردت عليه القصة كلها.. ولكن ليس بالبراعة التي اعتادت أن تكذب بها.

وكانت النتيجة أن أدوارد سألها حالما فرغت من قصتها:

- هل أنت بخير يا فيكتوريا؟ هل أنت واثقة من أنك لم تصابي بضربة شمس؟

فنظرت إليه مستنكرة.. ولم تجد ما تعقب به علي سؤاله فقال:

- أنك تذكرين أموراً لا يمكن تصديقها.. فالمنظمة العالمية التي عنها تتحدثين.. والاستعدادات السرية التي تجري في التيبت أو بلوخستان.. كل هذه أمور لا وجود لها إلا في القصص.. حقاً أنك فتاة خصبة الخيال يا فيكتوريا.. اعترفي بأن كل ما ذكرته هو من اختراعك.. وأنك ما سألتني عن هيلين شيل ألا لتؤيدي قصتك الخيالية. ولكنك سمعت بهذا الاسم من قبل.. أنا واثقة من ذلك.

- اعتقد أن بعضهم ذكره أمامي.

- أين؟ في غصن الزيتون؟

ففكر أدوارد لحظة ثم قال: ربما.. أن الأمر يبدو غريباً.

- تكلم. أني أعجب بك يا فيكتوريا.. ولكني لست مثلك.. وليس لي ذكاؤك.. أنني أشعر بالأمور.. ولكني لا أحسن التعبير عنها.

- إذن لا تجهد نفسك.. فأنني أعرف هذا الشعور.. وقد خالجني آخر مرة في فندق «تيو» عندما رأيت السير روبرت جالساً في الشرفة.

- السير روبرت؟

- نعم.. السير روبرت كروفتون لي.. لقد كان معي في الطائرة.. ولكني عندما رأيته في شرفة الفندق.. أحسست إحساساً غامضاً بأنه غير طبيعي.. وأنه يفتقر إلي شيء يكمل انطباعاتي الأولي عنه.. أما ما هو هذا الشيء.. فذلك ما لا أعلمه ولا أستطيع التعبير عنه.

- أعتقد أن راتبون طلب إليه إلقاء محاضرة في غصن الزيتون.. ولكني أظن أنه استقل الطائرة أمس إلي دمشق.. أو إلي القاهرة.

- لنعد إلي حديثنا عن هيلين شيل.

- كل ما أذكره.. هو أنني سمعت إحدي الفتيات تردد اسمها.

- كاترين؟ - ربما كانت هي.

- وماذا قالت عن هيلين شيل؟

- كانت تتحدث مع فتاة أخري في غصن الزيتون وسمعتها تقول: سوف تتغير الأوضاع لدي وصول هيلين شيل.. فأننا لا نتلقي الأوامر إلا منها.. ومنها وحدها.

- ألم يثر هذا الكلام دهشتك وفضولك يا ادوارد؟

- كلا.. فلقد قلت لنفسي أنهما ربما تنتظران رئيسة جديدة لشئون المكتبة.. ولكن أصدقيني يا فيكتوريا.. هل أنت واثقة من أن القصة التي سردتها عليّ لم تكن مجرد حلم؟

فرمقته بنظرة صاعقة أرغمته علي التراجع.. والاعتذار.

قال: معذرة يا فكتوريا... الواقع أنني لم أستطع تجاهل القصص العجيبة التي دأبت علي أختراعها، كقصة أسقف لانجو.. وقصة سونسفوت جونز... وغيرهما.

فهزت كتفيها وأجابت:

ـ هذه كانت مجرد دعابات صبيانية.. أما القصة التي سردتها عليك اليوم فانها جدية.. وعلي جانب عظيم من الأهمية.

- وهل أحسست بأن المدعو داكين كان مقتنعا بصحة المعلومات التي ذكرها لك؟

- كان مقتنعا تمام الاقتناع.. ولكن حدثني يا ادوارد.. كيف علمت.

ولم تتم عبارتها، فقد سمعت في هذه اللحظة صوتا صادرا من الشرفة يهتف بهما:

- أما آن لكما أن تدخلا؟ لقد اعددت لكما اقداح القهوة.

كان ذلك صوت مسز كلايتون، فهرول الشابان الي الداخل.

كانت فكتوريا تتناول طعام الافطار علي مائدة آل كلايتون في صباح اليوم التالي، حين فتح جيرالد كلايتون جهاز الراديو لسماع نشرة الأخبار:

وشرع المذيع في تلاوة الأنباء قال: أعلن رئيس الوزراء في مجلس العموم أمس تفصيلات جديدة عن قيود الاستيراد.

جاء من القاهرة أن جثة سير روبرت كروفتون لي وجدت طافية في النيل.

فوضعت فكتوريا قدح الشاي علي المائدة أمامها ونظرت في هلع مسز كلايتون التي وأرسلت آهة ذعر ودهشة.

ومضي المذيع يقول: كان السير روبرت قد وصل بالطائرة الي القاهرة قادما من بغداد. ونزل بأحد الفنادق الكبري بالعاصمة المصرية، وغادر الفندق في المساء وانقطعت أخباره طوال الأربع والعشرين ساعة التالية الي أن وجدت جثته، وقد أثبت الفحص الطبي أنه لم يمت غرقا وانما قتل بطعنة خنجر أصابت القلب.

والسير روبرت رحالة ذائع الصيت اكتسب شهرته من رحلاته في الصين وبلوخستان. وله بضعة مؤلفات قيمة..».

قالت مسز كلايتون وقد فر لونها:

- مات مقتولا؟ يا الهي!! هل كنت تعلم ذلك يا جيرالد؟

فأجاب كلايتون:

- علمت أنه أختفي.. ويبدو أن شخصا حمل اليه رسالة فقرأها وغادر الفندق علي الاثر.. دون أن يذكر اسم المكان الذي ذهب اليه.

وبعد لحظات، خلا المكان الا من فكتوريا وأدوارد فقالت الفتاة:

- ما قولك الان؟ أما زلت تعتقد أنني أخترعت القصة؟ لقد قتل كارمايكل أولا.. ثم لحق به سير روبرت.. ويبدو أن كل من له صلة بالموضوع مصيره الي الهلاك.. ومن يدري فلعل دوري قد قرب.

- أرجوك يا فكتوريا.. لا تتكلمي بهذه اللهجة كما لو كان الأمر مجرد دعابة. علي أنني لا أري ما يبرر مخاوفك.. فانك لا تعلمين شيئا بصفة مؤكدة.. وليس لك في الموضوع أي دور ايجابي.. وموقفك منه لا يختلف عن موقفي.

- أنا الذي جررتك الي هذا المأزق.

فهز كتفيه وقال: أرجو أن أكون في مأزق حقا.. فان ذلك يضفي شيئا من الاثارة علي الحياة المملة التي أحياها.

***

هيلين شيل



قال داكين: حدثيني.. هل وجدت صديقك؟ فأومأت فكتوريا برأسها علامة الايجاب.

قال: وهل اكتشفت شيئا؟

- كلا.

وكانت تبدو عليها دلائل الضيق فابتسم داكين وقال.

- ليس ثمة ما يدعو الي الاسي. ويبغي أن تذكري دائما ان النتائج في هذه اللعبة قلما تأتي بسرعة.

- وهل أستمر؟ هل يهمك أن تستمري؟

- طبعا. فقد وعدني ادوارد بعمل في (غصن الزيتون).. وأعتقد انني اذا فتحت عيني هناك فقد أقع علي بعض الأمور الهامة.. وخاصة عن هيلين شيل.. أنهم يعرفونها هناك.

- أحقا تقولين؟ وكيف اكتشفت ذلك؟

فقصت عليه فكتوريا ما سمعه أدوارد من كاترين وقال داكين:

- هذا أمر علي جانب عظيم من الاهمية.

- ولكن من هي هيلين شيل هذه؟ هل تعرف عنها شيئا؟ أم أنها بالنسبة اليك مجرد اسم؟

- هيلين شيل هي سكرتيرة أحد كبار الماليين في أمريكا، ومدير أحد البنوك الدولية الكبري.. وقد رحلت من نيويورك الي لندن منذ عشرة أيام واختفت بعد ذلك.

- أختفت؟ لا شك انك لا تريد أن تقول أنها ماتت.

- اذا كانت قد ماتت فان جثتها لم توجد.
- ولكن هل ماتت؟ ربما.
- وهل كان يجب أن تأتي الي بغداد؟ لا أعلم ولكن اذا صح ما سمعته أنت من المسماة كاترين.. فلابد أن هيلين شيل كانت تنوي الحضور الي بغداد.. علي أنه ليس لدينا حتي هذه الساعة ما يحملنا علي الاعتقاد بأنها ليست علي قيد الحياة.
ربما استطعت أن التقط بعض الأنباء عنها في غصن الزيتون.
- ربما، ولكني أناشدك أن تكوني حذرة.. فنحن نناضل أشخاصا لا يتحرجون من شيء.. ولست أريد أن يعثر علي جثتك يوما ما في نهر دجلة.
- كما عثر علي جثة السير روبرت كروفتون لي؟ وبمناسبة الحديث عن سير روبرت.. لقد لاحظت عندما رأيته في فندق (تيو) منذ أيام أن شيئا فيه أثار حيرتي.
- شيئا فيه أثار حيرتك؟ أي شيء تعنين؟
- هذا ما أحاول أن اتبينه.. ولعله أمر لا يستحق الاهتمام.
- أن أتفه الأمور قد تكون لها أهمية كبري.
- من رأي أدوارد انني اذا وفقت إلي عمل في غصن الزيتون فيجب أن أنتقل من فندق (تيو) الي غرفة مفروشة عند احدي العائلات أسوة بالفتيات اللائي يعملن في المعهد.
- الواقع أن ذلك أفضل.. يبدو أن صديقك أدوارد شاب متزن التفكير. هل تريد أن تقابله؟
- كلا.. بل قولي له الا يحاول مقابلتي حتي لا يتورط في الموضوع كما تورطت أنت بعد موت كارمايكل.. أنه الان بعيد عن الشبهات والأفضل أن يظل كذلك.
- كنت أود أن أعرف من الذي قتل كارمايكل.. هل قتله شخص تبعه الي الفندق؟
- كلا.. فذلك مستحيل مستحيل.
- أنه جاء عن طريق النهر، ولم يكن هناك من يتعقبه. نحن نعلم ذلك لان رجالنا كانوا يرقبون النهر.
- هل قتله أذن شخص كان موجودا بالفندق؟ أكاد أجزم بذلك.. وبالتحديد

فان القاتل كان يقيم في هذا الجناح بالذات.. وقد كنت أرقب السلم بنفسي ولم أر أحدا يأتي عن طريقه.

وفكر داكين لحظة ثم استطرد قائلا.

- وذلك يسهل عملية حصر المشتبه فيهم.. اذ لم يكن في هذا الجناح سواك أنت ومسز كارديو ترينش وتيو وشقيقتاه، وخادمان عجوزان يعملان في الفندق منذ عدة أعوام، ورجل يدعي هاريسون من موظفي شركة البترول في (كركوك)، ويخيل الي أنه رجل شريف ثم ممرضة بالمستشفي الاسرائيلي.

ولكن لا يحتمل أن يكون القاتل واحدا من هؤلاء.

- ولماذا؟ لأن كارمايكل كان شديد الحذر وكان يعلم أنه وصل الي أخطر مرحلة في مهمته.. ثم أنه كان يتمتع بما يشبه أن يكون حاسة سادسة تنبهه الي الخطر. أذن هل قتله رجلا الشرطة؟

- انهما حضرا فيما بعد.. جاءا من الشارع ولابد أنهما تلقيا اشارة من شخص ما.. ولكنهما ليسا القاتلين.. القاتل أما شخص كان كارمايكل يعرفه ويثق به.. أو انسان نكرة تافه لا يؤبه به..

ليتني أعرف فقط أي الافتراضين أصح!!

غصن الزيتون

استطاع أدوارد بطريقة ما لم تعرفها فكتوريا أن يجد لها عملا في (غصن الزيتون) بمرتب ضئيل.. فكانت تقضي كل وقتها في غرفة مظلمة مضاءة بالكهرباء بصفة مستمرة، حيث تكتب مختلف الرسائل والنشرات ذات الصلة بأعمال المعهد علي آلة كاتبة رديئة.

لقد قال لها أدوارد أنه يرتاب في نشاط المعهد، وأيد داكين هذا الرأي، وحضها علي أن تحاول معرفة ما اذا كان هذا الرأي يقوم علي أساس، وكانت تتمني أن تجد الا انه لم يكن هناك شيء يمكنها أن تجده.

كانت رسالة المعهد هي دعم السلام بين الشعوب.. فكانت تعقد فيه الاجتماعات وتلقي المحاضرات وتوزع الشطائر وعصير البرتقال.. ولكن لم

تكن هناك أسرار أو مؤامرات.

وكانت فكتوريا قد غادرت فندق تيو وأقامت في أحد البنسيونات علي الضفة اليسري للنهر.. مع بعض فتيات من جنسيات مختلفة بينهن كاترين.

وقد أحست فكتوريا بأن كاترين ترمقها بنظرات تنم عن السخط والكراهية، ولكنها لم تعلم هل ذلك لأنها ترتاب في أمرها أو لأنها تغار منها.

وبعد طول تفكير رجحت فكتوريا الافتراض الاخير، فقد كان معروفا انها تدين بوظيفتها لأدوارد ولم تكن كاترين هي الوحيدة التي أكلت الغيرة قلبها.. فان جميع فتيات المعهد كن مولعات بادوارد. وكان ادوارد يعاملهن علي قدم المساواة، فلا يؤثر أحداهن علي الأخري غير ان صلته بفكتوريا أمام الأخريات كانت تتسم بمزيد من التحفظ.

ولكن علي الرغم من اقتناع فكتوريا بأن نشاط (غصن الزيتون) فوق الشبهات، فان سلوك مؤسس المعهد كان يثير في نفسها الريبة والمخاوف. فقد حدث أكثر من مرة أنها لاحظت أنه يرمقها خلسة بنظرات فاحصة، وودت لو تعرف ماذا يظن العجوز بها.. وهل يرتاب في الأسباب التي حملتها علي العمل في المعهد.

كانت تعليمات داكين محددة، وقد أتفق معها علي طريقة الاتصال به.. فيما لو كانت لديها معلومات تود الافضاء بها اليه.. فأعطاها منديلا وردي اللون، وطلب اليها اذا أرادت مقابلته أن تتنزه علي ضفة النهر كما أعتادت أن تفعل كل مساء، الي أن تجد سلما يؤدي الي المكان الذي ترابط فيه قوارب النزهة والصيد، فتضع قطعة من المنديل في مسمار مثبت في جدار السلم.

وقد انتهزت فكتوريا فرصة سفر ادوارد الي ايران، فاتصلت بداكين بالطريقة المتفق عليها.. لا لشيء الا لتصارحه بأنها لم تقع علي جديد، وأن حياتها في المعهد مملة الي أقصي حد.

فسألها: والدكتور راتبون؟؟ هل هو رجل أمين؟

ولم تدر فيكتوريا بماذا تجيب.

فقال داكين: الواقع أن الدكتور راتبون هو الشخص الوحيد الذي يثير قلقي.. لأنه رجل ذو مركز مرموق، فاذا افتراضنا ان هناك مؤامرة لاغتيال احدي الشخصيات الهامة التي ستشترك في مؤتمر بغداد.. فإن أحد ا من الطلاب، أو

شباب الثوار ستتاح له فرصة للاقتراب من الزعماء الكبار.. واية محاولة لالقاء قنبلة سوف تبوء بالفشل، لأن رجال الشرطة سيطوقون الشوارع الرئيسية.. وسيحيطون الزعماء المنتظر قدومهم الي بغداد بحراسة مشددة، أما راتبون فانه في ذاته مشكلة. لأنه شخصية معروفة ومحترمة.. ويستطيع اذا شاء أن يلبي الدعوات التي ترسل اليه لحضور حفلات الاستقبال التي ستقام تكريما للزعماء وبذلك تتاح له كل الفرص الممكنة.. ولهذا أريد أن أعرف حقيقة موقفه.

وفي اليوم التالي، عاد ادوارد من رحلته، وقدم الي فيكتوريا بعض الاوراق لكتابتها علي الآلة الكاتبة وقال.

- الدكتور راتبون يرجوك أن تكتبي هذه الأوراق فورا، مع الاهتمام بالصفحة الثانية بصفة خاصة لأنها حافلة، بأسماء عربية معقدة.

فتنهدت فيكتوريا، وشرعت في استخدام الآلة الكاتبة.

كان خط الدكتور راتبون واضحا، وسرعان ما فرغت من نسخ الصفحة الأولي وعندما بدأت في كتابة الصفحة الثانية، أدركت لماذا حرص أدوارد علي لفت نظرها الي هذه الصفحة خاصة.. فقد وجدت رقعة صغيرة ملصقة بالصفحة الثانية ومكتوبة بخط ادوار.

قرأت فيها هذه الكلمات:

« اذهبي للنزهة علي ضفة نهر دجلة في الساعة الحادية عشرة صباحا، وسأكون في انتظارك بالقرب من بيت الملك علي».

وفرغت فيكتوريا من كتابة الأوراق. وحملتها الي الدكتور راتبون، فتصفحها هذا ببطء... وكانت فكتوريا قد همت بالانصراف فبادرها بقوله: هل أنت سعيدة هنا يا فكتوريا؟

- نعم يا دكتور.. شكرا لك.

فنظر اليها بحدة.. واضطرت أن تطرق برأسها.

قال: أخشي أن يكون الاجر الذي تتقاضينه ضئيلا.

- لا أهمية لذلك.. أنا أحب عملي. - أحقا؟

- نعم.. أنني أشعر بأنني أؤدي عملا يستحق الجهد الذي يبذل فيه.

فقال دون أن يحول عينيه عن وجهها:

- وهل يوفر لك هذا الاجر مطالب الحياة؟

- نعم.. انني اقيم في غرفة لا تكلفني كثيرا، لدي أسرة أرمنية.
- الواقع.. أن بغداد تفتقر الي كاتبات الاختزال، واعتقد انك تستطيعين الحصول بسهولة علي وظيفة أفضل بأجر أكبر.
- ولكني لا أود أستبدال وظيفتي هنا بأخري.
- ربما كان من الحكمة أن تفعلي.
فهتفت بصوت مرتجف: من الحكمة؟
- هذا ما قلته.. انها مجرد نصيحة بسيطة.. مجرد رأي.
وكان في صوته ما يشبه التهديد، فلم تحاول الفتاة اخفاء دهشتها.
قالت: الواقع.. انني لا أفهم يا دكتور!!
فقال: أن من الحكمة الايقحم الانسان نفسه في أمور لا يفهمها.
وكان التهديد في هذه المرة واضحا:
ـ واستطرد الرجل قائلا:
ـ لماذا جئت للعمل هنا؟ هل جئت من أجل ادوارد؟
- كلا طبعا.

فهز الشيخ رأسه وقال: أن ادوارد لا يزال في أول السلم، ولابد أن تمر سنوات عديدة قبل أن يتمكن من عمل شيء من أجلك.. ولو كنت مكانك لاقلعت عن التفكير فيه.. ولهذا قلت لك أن في استطاعتك أن تجدي عملا آخر في بغداد بأجر أفضل.. عملا يؤمن مستقبلك.. مع أناس في مستواك.
فقالت بحدة:
ـ ولكني أحب العمل في (غصن الزيتون) يا دكتور.
فهز كتفيه. وأشاح بوجهه. وانصرفت فكتوريا وهي في حيرة من أمر هذا الحديث.
تري هل فعلت شيئا أثار ريبة الدكتور رتبون؟
تري هل أدرك أنها جاسوسة؟

***

خرائب بابل



في اليوم التالي. ذهبت فكتوريا للقاء ادوارد في الموعد المتفق عليه، ووجدته يدخن لفافة تبغ بجوار سيارة سوداء عتيقة.

وهتف ادوارد حالما رآها: برافو.. كنت أخشي أن تضلي الطريق.. اصعدي الي السيارة.

فاطاعته مغتبطة وسألت: الي أين سنذهب؟

- الي خرائب بابل. اليس من حقنا أن نلهو قليلا بعيدا عن (غصن الزيتون). وتحركت بهما السيارة.

وحين نطق ادوارد باسم (غصن الزيتون).. تذكرت فكتوريا حديثها مع الدكتور راتبون وكان لا يزال يقلقها، فرأت من الحكمة أن تفضي به الي ادوارد، الذي هتف بعد أن سمع روايتها:

- ولكن هذا خطير جدا يا فكتوريا.. ماذا قال لك بالتحديد؟

فبذلت فكتوريا قصاري جهدها لاستعادة الكلمات التي استخدمها راتبون في حديثه، وصاح ادوارد وعلي وجهه دلائل الانزعاج: ألم تفهمي أيتها الصغيرة المسكينة أن هذا الرجل يضمر لك سوءا، كانت كلماته بمثابة تحذير وانذار.. وهذا أمر خطير!! أن هؤلاء الناس لا يقفون في شرورهم عند حد.. وأنا لا أريد أن أسمع يوما نبأ العثور علي جثتك في نهر (دجلة).

فاطرقت فكتوريا برأسها ولم تجب.

وبعد رحلة شاقة في طريق وعر استغرقت زهاء ساعتين توقفت بهما

السيارة عند خرائب بابل.

وكانت فكتوريا تتوقع أن تري أعمدة من الرخام وبقايا أقواس نصر كتلك التي رأتها في صور خرائب بعلبك، ولكنها لم تجد أمامها سوي حوائط من الطوب وأكواما من الحجارة.

وبعد أن طافا بالمكان، انتحيا ركنا تناولا فيه الطعام الذي أحضره ادوارد معه.. ثم تمددا فوق الرمال طلبا للراحة، وأغمضت فكتوريا عينيها وراحت تفكر وتتحدث الي نفسها:

- هأنذا بين خرائب (بابل)!! من يصدق ذلك لا شك أنني في حلم.. وأنني متي استيقظت وفتحت عيني فسأجد نفسي في لندن.. في مكتب مستر جرينهوليتز.. وسأكتشف أن ادوارد لم يكن الا شخصا من صنع خيالي.

كلا.. انها لا تحلم.. فهاهي الشمس المحرقة تصلها نارا حامية.. انها تختلف تماما عن شمس لندن.

وها هو ادوارد ممددا بجوارها.

ما أجمل شعره الطويل المنسدل فوق عنقه!!

ثم ان عنقه جميل ايضا مثل شعره.. وليس فيه تجاعيد أو بثور.. أو ندبات.. أو حتي شامة واحدة.. كتلك التي رأتها في عنق السير روبرت حين جلس علي المقعد الذي أمامها في الطائرة.

وفجأة.. أفلتت من فمها آهة عميقة، فاستدار اليها ادوارد وسأل: ماذا حدث؟ تذكرت شيئا.. عن السير روبرت كروفتين لي.

فحملق نحوها وكأنه يطلب ايضاحا. فقالت:

- كانت له شامة في عنقه. - أحقا؟

- نعم.. كان جالسا أمامي في الطائرة.. فرأيت الشامة.

- وأية غرابة في ذلك؟

- أنك لم تفهم يا ادوارد!! عندما رأيت السير روبرت في شرفة فندق (تيو)، لم يكن في عنقه أثر لتلك الشامة.

- وماذا في ذلك؟

- فكر جيدا يا ادوارد.. في الطائرة.. كانت في عنقه شامة.. وفي الفندق.. لم يكن هناك أثر للشامة. ربما أزالها؟

- لو أنه أزالها لتركت أثرا.. اصغ الي يا ادوارد ان الرجل الذي رأيته في فندق (تيو) لم يكن هو السير روبرت.

فنظر اليها في ذهول وهتف: لا شك أنك فقدت صوابك يا فكتوريا.. ألم تقولي أنك رأيته وعرفته في الفندق؟

- عرفت قبعته ومعطفه.. ومظهره.

- ولكنهم عرفوه في السفارة.

- في السفارة؟ انه لم يذهب الي السفارة. وانما ذهب الي فندق (تيو).. كان هناك أحد الملحقين في انتظاره في المطار، أما السفير فكان في لندن.. يضاف الي ذلك أن السير روبرت كان كثير الأسفار.. فلم يره الناس في انجلترا الا فيما ندر.

- ولكن لماذا قتل؟

- لماذا؟ بسبب كارمايكل الذي كان مقررا أن يلتقي به في بغداد ليعرف منه الحقائق التي اكتشفها في رحلاته.. ولم يكن الرجلان قد تقابلا من قبل.. وعندما رآه كارمايكل في الفندق لم يعرفه، ولم يرتب في أمره.. ومن المحقق أن السير روبرت الزائف هو الذي قتل كارمايكل. هذه حقيقة مؤكدة يا ادوارد.

- أنا واثق من أنك تخدعين نفسك يا فكتوريا.. هل نسيت أن السير روبرت قتل فيما بعد.. في القاهرة؟

- نعم.. أنه قتل في القاهرة.. هذا مخيف يا ادوارد.. أستطيع أن أقول انني كنت هناك حين قتل.

- هذا هو الجنون بعينه.

- كلا.. اصغ الي يا ادوارد.. وأنني أذكر الآن ما حدث.. لقد هبطت بنا الطائرة في القاهرة، فانتظرنا في صالة (الترانزيت) ريثما يتم تموين الطائرة وتستعد للقلاع..

ـ وكان السير روبرت يجلس علي مقربة مني.. فجاءت أحدي المضيفات

وقالت له أنه مطلوب في (المكتب).. وأشارت الي غرفة تبعد بضع خطوات.

وتصادف أنني غادرت مكاني بعد لحظات لأبتاع شيئا من المرطبات.. ومررت بالمكتب الذي أشارت اليه المضيفة.. ووجدت علي بابه لأفتة كتب عليها (مكتب المراقبة).. وفي نفس اللحظة فتح الباب وخرج منه السير روبرت.. أنا واثقة الآن أن هذا الذي خرج من المكتب هو السير روبرت الزائف، أما السير روبرت الحقيقي، فان قاتليه كانوا في انتظاره بالمكتب المزعوم، فلما دخل أفقدوه الرشد بطريقة ما.

وأكبر الظن أنهم خدروه، واحتفظوا به، ثم قتلوه بعد أن عاد السير روبرت الزائف من بغداد.

- قصة طريفة يا فكتوريا ولكن لا يمكن تصديقها.. خاصة وأنه ليس لديك دليل علي أن..

- الدليل هو الشامة.

- آه.. الشامة.

- وهناك دليل آخر.

- ما هو؟

- اللافتة التي علي باب المكتب.. لقد اكتشفت فيما بعد. ونحن في طريقنا الي المكتب.. أن هذه اللافتة قد أزيلت من مكانها. وثمة أمر آخر.. تلك المضيفة التي استدعت السير روبرت للذهاب الي مكتب المراقبة المزعوم.. لقد رأيتها مرة أخري في بغداد.. في معهد.. (غصن الزيتون) عندما ذهبت اليه لأول مرة.. انها وصلت حين كنت اتحدث الي الدكتور راتبون.. وعندما غادرت مكتب الدكتور رأيتها تتحدث مع كاترين.. وأحسست وقتئذ بأنني رأيتها من قبل.. الآن تذكرت كل شيء.

وصمتت لحظة ثم استطردت قائلة:

- صدقني يا ادوارد.. ان ما ذكرته لك الآن ليس حلما.

فهز الشاب رأسه وقال:

ـ أريدك أن توثقي صلتك بهذه الفتاة.. فاننا عن طريقها نستطيع أن نعرف الكثير.. تملقيها.. واعملي علي كسب صداقتها.. وتظاهري بأنك تشاطرينها آراءها وعقائدها.. ثم حاولي أن تعرفي من أصدقاءها.. ومن هم الاشخاص الذين تتردد عليهم في الخارج.

- ليس أيسر من ذلك.. سأحاول.. ولكن حدثني.. هل أطلع داكين علي ما ذكرته لك الآن؟

- طبعا.. ولكن يحسن أن تنتظري يوما أو يومين.. فقد تكتشفين خلال هذه الفترة شيئا جديدا.

كانت فكتوريا راضية عن نفسها كل الرضا بعد اكتشافاتها الأخيرة فلم يشق عليها في اليوم التالي أن تلاطف كاترين وتمازحها رغم ما تضمره لها من حقد وكراهية.

وقد بدأت حديثها مع كاترين بأن سألتها عما اذا كانت تعرف حلاقا موثوقا به.. يغسل شعرها ويصففه.

ورمقتها كاترين بنظرة فاحصة. ثم قالت: أري من شعر رأسك أنك كنت خارج المدينة أمس أثناء العاصفة الرملية.

فأجابت فكتوريا: الواقع أنني استأجرت سيارة ذهبت الي خرائب (بابل)، وعند العودة هبت عاصفة رملية شديدة خيل الي معها انني سأموت اختناقا.

فقالت كاترين: انني أصفف شعري عندفتاة أرمنية بارعة، وأنا علي استعداد لان أذهب بك اليها الليلة اذا شئت.

- لقد كنت دائما أعجب بشعرك ولطالما تساءلت تري ماذا تفعلين به لكي يبدو في هذا الجمال.

كانت تكذب بجرأة، ولكن كذبها أدخل السرور علي نفس كاترين فلم تتمالك نفسها من الابتسام.

وفي المساء.. غادرت الفتاتان المعهد، واجتازتا بعض الازقة ووصلتا أخيرا الي باب صالون للحلاقة . وكانت الآنسة أنكوميان الارمنية صاحبة الصالون تتكلم الانجليزية ولكن ببطء شديد.. فادخلت فكتوريا الي غرفة كل ما فيها

نظيف وأنيق.. وسكبت علي شعرها سائلا تحول بعد قليل الي فقاعات صابون.

وبعد أن عالجت خصلات الشعر باصابعها قالت:

- والآن.. ضعي رأسك تحت صنبور الماء.. فاحنت فكتوريا رأسها تحت الصنوبر، وشعرت بالماء ينهمر. علي شعرها.

وفجأة.. اشتمت رائحة نفاذة ذكرتها بالمستشفيات، وفي ذات اللحظة أحست بشيء مبلل يوضع فوق أنفها فحاولت أن تقاوم وأن تحرك رأسها، فلم تستطع.. وخيل اليها أن يدا من حديد تضغط شيئا علي أنفها بقوة لا تقاوم.

وما هي الا لحظة حتي غابت عن وعيها.

***

إختطاف



عندما أفاقت فكتوريا، كان ذهنها ملبدا بذكريات مضطربة غير واضحة.. تذكرت مثلا أنها أحست في وقت ما بأنها القيت في سيارة مع أشخاص كانوا يتناقشون باللغة العربية، وانها وضعت بعد ذلك في فراش وسلطت علي عينيها أضواء قوية، ثم كشف بعضهم عن ذراعها وغرز فيها ابرة فغابت عن وعيها مرة أخري.

انها الان واثقة بأنها في تمام وعيها.. ولكن ماذا حدث لها قبل ذلك؟ حاولت ان تستجمع أفكارها.. وتذكرت خرائب بابل والشمس المحرقة والعاصفة الرملية وكاترين التي رافقتها الي صالون امرأة أرمنية راحت تغسل شعرها بالماء..

ـ ثم تذكرت تلك الرائحة النفاذة.. كانت رائحة (كلوروفورم) بغير شك.. ولكن ماذا حدث لها بعد ذلك؟

وجدت نفسها ممددة علي فراش شديد الصلابة ورأسها يكاد ينفجر من الصداع.. وخيل اليها أن كل شيء يدور حولها.. وأن أفضل لها أن تكف عن التفكير وتحاول أن تنام.

وعندما استيقظت، احست بأنها أحسن حالا، وكان الوقت نهارا، فأجالت البصر حولها، ووجدت أنها في غرفة صغيرة أرضها من الطين، وليس بها من الاثاث سوي الفراش ومائدة عرجاء عليها آنية من الصفيح.

ووقع بصرها في الجدار علي نافذة صغيرة فأسرعت اليها، وأطلت منها، واكتشفت أن غرفتها تقع في الطابق الثاني من مبني تحيط به أشجار الكافور والنخيل.

وتقدمت من الباب، وعالجته ووجدته مغلقا، ومتينا.. فعادت الي الفراش وجلست علي حافته تري أين هي الآن؟

من المحقق أنها ليست في بغداد. وماذا يريد بها؟

وهنا تذكرت حديث مستر داكين حين نصح لها بالا تحاول القيام بدور البطلة.. ولم تتمالك نفسها من الابتسام.

لا شك أنها أفضت بكل ما تعلمه وهي تحت تأثير المخدر.

شيء واحد أثلج صدرها.. هو أنها لا تزال علي قيد الحياة!!

أن كل ما تستطيع أن تفعله الآن.. هو أن تتجلد حتي يأتي ادوارد لانقاذها.

تري ماذا سيفعل ادوارد حين يكتشف اختفاءها؟ هل سيذهب الي داكين، أم يؤثر معالجة الامر بمفرده؟ وهل سيرتاب في كاترين؟

وأضناها التفكير دون أن تجد جوابا لواحد من هذه الاسئلة.

الواقع.. أن كل شيء يتوقف علي ادوارد.. أنه لطيف.. ووسيم.. ولكن هل هو ذكي؟

أن مستر داكين رجل مفرط الذكاء.. ما في ذلك شك.. ولكن هل سيتحرك للبحث عنها؟ أنها لا تعني شيئا بالنسبة اليه.. مجرد عميلة.. ضمن آلاف العملاء.. جميعهم يجازفون ويتعرضون للاخطار والمهالك.. فاذا سقط احدهم كان ذلك من سوء حظه.. وكل ما يفعلونه هو أن يزيلوا اسمه من قائمة العملاء.

كلا.. أن داكين لن يحرك ساكنا للبحث عنها وانقاذها.

ثم أنه سبق أن حذرها.. وكذلك حذرها الدكتور راتبون.

وفجأة، سمعت وقع أقدام تقترب، وحركة مفتاح في القفل، ثم فتح الباب، ودخل رجل عربي يحمل صحفة حافلة بأطباق الطعام.. فوضع الصحفة أمامها.. ونظر اليها وهو يبتسم، وقال لها كلاما باللغة العربية. لم تفهمه، ولكن حركة يده كانت تعني: تناولي الطعام.

ثم غادر الغرفة وأوصد الباب بالمفتاح.

وفحصت فكتوريا الطعام باهتمام.. كان يتالف من الارز والكرنب والخبز..

عدا آنية للماء فاقبلت عليه تلتهمه بنهم. ولما فرغت من تناول طعامها، أحست بالراحة، وبدأت تفكر من جديد.

لقد حذروها واختطفوها.. ولكن متي حدث ذلك؟ كان ذلك في أحدي الامسيات.. منذ يومين أو ثلاثة أيام.. أو ربما أكثر.

ومرت الساعات بطيئة مملة.. ثم فتح الباب مرة أخري ودخل حارسها حاملا صحفة الطعام.. وتبعته امرأتان محجبتان وقفتا بعتبة الباب. وراحتا تنظران اليها في فضول وتتبادلان الملاحظات وتتضاحكان.

ولكن الحارس لم يلبث أن أومأ اليهما بالانصراف، ثم وضع الصحفة أمام فكتوريا، وحمل الصحفة الأولي... ومضي الي الباب.

وقبل أن ينصرف، استدار الي فكتوريا وقال: باكر.. باكر.. باكر.

وكانت فكتوريا تعرف هذه الكلمة.. انها تعني غدا.

اذن فسيحدث شيء غدا.. ولكن ماذا؟

هناك احتمالان لا ثالث لهم.. اما أنها ستسترد حريتها غدا.. أو أنها ستفقد حياتها.. وتمنت متي جاء الغد أن تكون في مكان آخر.

ولكن هل يمكن ذلك؟

ولأول مرة، بدأت تفكر من جديد في الفرار.. واقتربت من الباب.

لم يكن القفل من النوع الذي يمكن فتحه بدبوس الشعر.

أما النافذة فكان يسهل الفرار منها، بشرط الا تحدث ضوضاء.. ولكن العقبة الوحيدة هي أن الوثوب من ارتفاع خمسة أمتار قد يؤدي الي كسر ساقيها.

قد جرت العادة في القصص أن تصنع البطلة حبلا من أغطية الفراش تتدلي به من النافذة.. ولكن من سوء الحظ أن فراش فكتوريا لم يكن به أغطية.

ولكنها لم تفقد شجاعتها.. وصممت علي الفرار.. كانت تعلم أن حراسها أناس لا يخطر لهم ببال أن امراة سجينة في غرفة مغلقة يمكن أن تجد طريقة للفرار.. أما أعداؤها الخطيرون الذين اختطفوها، فانهم ليسوا في ذلك البيت، ولكنهم سيأتون غدا.

قالت تحدث نفسها:

- والنتيجة.. هي أن الفرار يجب أن يتم اليوم.. فلتبدأ الان بتناول طعام العشاء.

وكان الطعام يتألف من الأرز واللحم. والبرتقال، فالتهمت ذلك كله التهاما.. وعندما ارادت أن تشرب جرعةِ من الماء، ارتطمت يدها بالآنية فانقلبت وسال بعض ما بها علي المائدة وسقط علي الارض ولما كانت الأرض من الطين فقد أحدث فيها الماء حفرة صغيرة.

وهنا واتتها الفكرة. قالت لنفسها.

- ان كل شيء يتوقف علي المفتاح.. فاذا كان المفتاح في القفل أمكن عمل شيء.

وكان الليل قد أرخى سدولة فنظرت من ثقب القفل، ووجدت المفتاح. كان لابد لها من شيء صلب لتدفع المفتاح ليسقط في الجانب الاخر.

ولكن من أين لها ذلك الجسم الصلب، لقد أخذوا حقيبتها وكان بها قلم رصاص يصلح لهذه المهمة.

ومن حسن حظها أن وقع بصرها في تلك اللحظة علي حذائها فخلعته وانتزعت منه قطعة الجلد التي تغطي نعله من الداخل، وبرمتها حتي استدارت كالقلم. ثم وضعتها في ثقب القفل وراحت تعالج المفتاح.. ومرت دقيقة أو دقيقتين قبل أن تتمكن من رفع المفتاح واسقاطه في الجانب الاخر من الباب.

ولم يحدث سقوط المفتاح صوتا يمكن ملاحظته.. فقد سقط علي أرض من الطين.

قالت لنفسها وقلبها يركض بين ضلوعها:

- يجب أن أعمل بسرعة قبل أن يسود الظلام فلا اري شيئا.

وتناولت الانية.. وسكبت بعض الماء عند عتبة الباب، واستعانت بالملعقة في حفر الارض تحت الباب، حتي أحدثت فجوة دست فيها ذراعيها، والتقط المفتاح.

وكفت عن الحركة لحظة لتلتقط أنفاسها، ثم وضعت المفتاح في القفل بهدوء، وأدارته.. ففتح الباب.

وأصاخت السمع، ولكنها لم تسمع سوي نباح الكلاب.. وغادرت سجنها لتجد نفسها في غرفة أخري كان بابها مفتوحا. فأطلت من الباب ورأت درج السلم.

يجب الان أن تخلد الي الهدوء حتي يهبط الظلام. ويستغرق الجميع في النوم.

وحانت منها التفاته فرأت في أحد أركان الغرفة عباءه سوداء قديمة.. فتناولتها.. وتدثرت بها لتخفي ثيابها وشخصيتها.

وانتظرت طويلا حتي انتصف الليل، فتسللت الي الخارج وأوصدت باب غرفتها وتركت المفتاح في القفل، وهبطت السلم ببطء وسمعت صوتًا لعله غطيط الحارس وما هي الا لحظة حتي كانت تعبر الحديقة وتنطلق بعيدا عن سجنها.

وأطلقت ساقيها للريح في طريق وعر لا تعرف الي أين يؤدي.

كان كل همها أن تبتعد عن القرية وعن سجانيها.

وبعد أن تقطعت أنفاسها، وأحست بأنها أصبحت في مأمن من المطاردة.. بدأت تتمهل في سيرها.. وتفكر فيما ينبغي عليها أن تفعله.

وبذغ الفجر أخيرا.. فارتقت تلا صادفها، ووقفت علي قمته وأجالت البصر حولها.. فلم تر الا بحرا من الرمال لا أثرا فيه للحياة.. وراعها منظر الصحراء في الشفق، وجمال الكون في ضوء النهار المنبثق.. وأحست بالخوف والرهبة من السكون والفراغ اللذين يحيطان بها.. وهمت في لحظة ما بأن تعود أدراجها لعلها تلتقي بانسان.. أي انسان!! ولكنها سرعان ما تمالكت نفسها واستردت رباطة جاشها.. حينما فكرت مليا في أمرها.. أدركت أنها لم تنج تمام من أعدائها.. وأن المسافة التي قطعتها سيرا علي قدميها في الظلام، سيستطيعون هم في وضح النهار أن يقطعوها بالسيارة في دقائق.

وكان التعب قد برح منها، فالتفت جيدا بالعباءة وأرختها علي وجهها لكي تبدو كالبدويات وجلست علي قمة التل طلبا للراحة ولكي ترقب الطريق.. حتي اذا رأت سيارة مقبلة سارعت الي اتخاذ الاجراءات التي تناسب الموقف.

وغلبها التعب فاستغرقت في النوم وعندما استيقظت كانت الشمس تسطع في كبد السماء.

وشعرت بالظمأ فبللت شفتيها الجافتين بلسانها.. وعندئذ طرق أذنيها صوت محرك سيارة، فنظرت حولها في كل أتجاه.. ورأت السيارة من بعيد نقطة سوداء في بحر من الرمال.

ولم تكن السيارة قادمة من ناحية القرية، ولكن أكبر الظن أنها كانت تقصد اليها.

واختفت السيارة وراء نشز من الارض. ثم عادت الي الظهور.. واقتربت من التل الذي تقف فيكتوريا علي قمته فتبينت هذه أن سائق السيارة رجل عربي.. وأن شخصا آخر يجلس بجواره ويبدو أنه أوروبي. وترددت فيكتوريا بين أن تسارع الي السيارة فتحتمي براكبيها أو أن تتواري خوفا من أن يكون من أعدائها.

وكانت السيارة تتقدم في ممر مطروق.. ولكنها لم تلبث أن غيرت اتجاهها فجأة، فخرجت من الممر.. وانحرفت نحو التل، حيث كانت فيكتوريا. ولا شك ان الرجلين أبصرا بها.

وبلا تردد، انبطحت علي الارض وحبست أنفاسها وبعد لحظة، توقف محرك السيارة، فسمعت الفتاة كلاما باللغة العربية.. ثم ساد الصمت. وجازفت فيكتوريا، ورفعت رأسها بحذر، فرأت الرجل الأوروبي يصعد التل ويتوقف بين الفينة والفينة لالتقاط شيء، وكان من الواضح أنه لايعلم بوجودها.. ولا يهتم بأمرها..

ـ وكان واضحا كذلك أنه انجليزي فتنفست الصعداء. ونهضت واقفة.. وأسرعت الي مقابلته وهي تقول:

- ليتك تعلم كم أنا سعيدة بقدومك.

فرفع الرجل رأسه في دهشة وهتف:

- ماذا تصنعين هنا بحق الشيطان؟

ـ ولكن.. هل أنت انجليزية؟

فانفجرت ضاحكة وقالت وهي تتخلص من عباءتها:

- نعم.. فهل تستطيع الذهاب بي الي بغداد؟

- أنا قادمة منها.. ولكن ماذا تفعلين هنا في قلب الصحراء؟ لقد خدرت واختطفت، وعندما أفقت، وجدتني سجينة في قرية هناك.

وأشارت بأصبعها نحو القرية. فقال الشاب: في قرية (مندلي)؟

- ربما كان هذ هو اسمها.. انني فررت منها تحت جنح الظلام وقضيت الليل كله هائمة علي وجهي في الصحراء. وتواريت عندما رأيت السيارة خوفا من أن تكون من الأعداء.

وأصغي اليها الرجل في هدوء.

كان طويل القامة أشقر الشعر، لا يتجاوز سنه الخامسة والثلاثين.

ونظر اليها من قمة رأسها الي أخمص قدميها، ثم قلب شفته، وبدأ عليه كأنه لا يصدق كلمة واحدة مما سمع.. ولاحظت فيكتوريا ذلك وصاحت في غضب: تلك هي الحقيقة!!

- ولكنها حقيقة أغرب من الخيال.

فأسقط في يد الفتاة.

لطالما كذبت فصدقها الناس، أما الان وهي لا تذكر الا الحقيقة فان أحدا لا يريد أن يصدقها قالت:

- الشيء المؤكد.. هو أنني سأموت ظمأ اذا أنت تركتني هنا.

فقال الغريب في هدوء: ليس من المألوف أن تهيم انجليزية علي وجهها في الصحراء.. أن شفتيك جافتان فعلا.

ثم نادي سائق السيارة بقوله: يا عبد الله.

- نعم يا سيدي.

واقترب السائق من سيده، فأصدر اليه هذا أمرا باللغة العربية. وأسرع السائق الي السيارة وعاد بزجاجة ماء وكوب.. وشربت فيكتوريا حتي ارتوت وقالت: أشعر الان بأنني أحسن حالا.

ورأي الانجليزي أن الوقت قد حان ليقدم نفسه فقال:

- أنا ادعي ريتشارد بيكر.

- وأنا فيكتوريا جونز.

وأرادت أن تثير أهتمام محدثها فاستطردت قائلة:

- فيكتوريا بونسفوت جونز.. وقد جئت الي بغداد للحاق بعمي الدكتور بونسفوت جونز.. رئيس بعثة الاثار.

فهتف الشاب وهو ينظر اليها بدهشة: يالها من مصادفة عجيبة!! أنا أيضا في طريقي لمقابلته.. أنه في مكان يبعد عن هنا نحو خمسة عشر ميلا.

فانهارت فيكتوريا ولم تقو علي الكلام.. وتبعته الي السيارة دون مناقشة. قال لها بعد أن جلست في المقعد الخلفي:

- أعتقد أنك تخصصت في علم الأجناس البشرية لقد قيل لي أنك ستأتين. ولكني لم أظن أنك ستأتين بهذه السرعة.

وأخرج من جيبه قطعة من الخزف التقطها من التل وقال: أنه تل عجيب مليء بآثار الأقدمين.. ولكن كل ما به من بقايا الأواني الخزفية. يرجع عهده الي الأشوريين.

وابتسم واستطرد قائلا: يسرني أنك علي الرغم من متاعبك، قد ساقتك هوايتك للآثار القديمة الي هذا التل.

ولكن فيكتوريا لزمت الصمت ولم تجب.

كانت تفكر في موقفها.. لا شك أن أمرها سيفتضح حالما تصل الي مقر البعثة.

وراودتها فكرة الاعتراف بالحقيقة فورا.. ولكنها خشيت أن يتركها ريتشارد بيكر في الصحراء، وآثرت ان تعترف للدكتور بونسفوت شخصيا رغم أنها لم يسبق لها أن رأته.. أما ريتشارد بيكر هذا فأنه لن يصدقها حتي ولو قالت الحقيقة.

وكان بيكر قد جلس بجوار السائق فتحول اليها وقال:

- اطمئني. فلن أعود بك الي (مندلي).

انحرفت السيارة عن الممر المطروق، وبدأت تشق طريقها في الصحراء.. وكان بيكر يصدر تعليماته للسائق بالاتجاه يمينا ويسارا.. مسترشدا في ذلك بآثار لا تكاد تري لعجلات سيارة سلكت الطريق من قبل. ومرت السيارة بعربيين يحمل أحدهما مائدة صغيرة، ويحمل الاخر صندوقا متوسط الحجم فاستوقفهما بيكر، واغتبط الرجلان بذلك. وهرولا اليهم، وتقبلا شاكرين لفافات التبغ التي قدمها اليهما.

والتفت بيكر الي فيكتوريا وسألها:

ـ هل تحبين السينما؟

- طبعا.

- غادري السيارة اذن وستشهدين السينما. فاطاعت وهي مدهوشة.. بينما وضع العربي المائدة علي الرمال، ووضع زميله الصندوق في ركن المائدة. وأشار بيكر الي فيكتوريا فجلست علي المائدة أمام الصندوق.. ونظرت من خلال عدسة بجوار الصندوق.

وشرع أحد الرجلين في ادارة (مانيفيلا) متصلة بالصندوق بينما رجل آخر يتكلم بعبارات غير مفهومه.

فقالت فيكتوريا تحدث بيكر: ماذا يقول هذا الرجل؟

- أنه يشرح الصور باللغة العربية، وسأقوم بالترجمة الفورية،

وبدأ الترجمة، فقال:تعال وأنظر عجائب الدنيا منذ بدء الخليقة حتي وقتنا هذا.

ورأت فيكتوريا من خلال العدسة صورة مرسومة بطريقة بدائية، تمثل الزنوج وهم يعملون في حقول القطن.

وقال بيكر يترجم كلمات العربي: الحياة في أمريكا.

وتغيرت الصورة: زوجة شاه العالم الغربي. تصفف شعرها.

وتعاقبت الصور، برج ايفل.. البرنس البرت، شواطيء النرويج.. الانزلاق علي

الجليد في سويسرا.. وقال بيكر يترجم كلام العربي:

- قد عرضنا عليك أعجب ما في الدنيا.. ونرجو أن يكون ما شاهدته هو حاز رضاك.

ونهضت فيكتوريا وهي تقول: هذا رائع حقا.

ومنح بيكر العربيين بعض النقود وتبادل معهما حديثا طويلا باللغة العربية. ثم أنصرف الرجلان فقالت فيكتوريا:

- الي اين يقصدان؟

فأجاب بيكر: الي كل مكان.. لقد رأيتهما لأول مرة في شرق الاردن وكانا قادمين من البحر الميت وهما يقصدان الان الي (كربلاء) وهما عادة يجتازان الممرات غير المطروقة لزيارة القري النائية البعيدة عن المدينة والحضارة.

- لا شك أنهما يلتقيان بين وقت وآخر بمن يصطحبهما معه في سيارته فيوفر عليهما مشقة الطريق.

فأجاب بيكر وهو يضحك:

ـ أنك تفكرين بالأسلوب الاوروبي.. أن الناس هنا لا يتعجلون الأمور.. والوقت بالنسبة اليهم لا يعني شيئا.

ومضت السيارة في طريقها.. وبعد فترة قصيرة قال بيكر:

- لقد اقتربنا: فنظرت فيكتوريا أمامها، ورأت تلا ينهض عند سفحة بين منخفض مشيد بالطوب.

ووقفت السيارة أخيرا أمام البيت، وهرول بعض الخدم في جلابيبهم البيضاء لتحية القادمين والترحيب بهم. فتبادل معهم بيكر بعض العبارات ثم قال يحدث فيكتوريا:

- يخيل الي أنهم لم يتوقعوا قدومك بهذه السرعة.. ولكن لا أهمية لذلك.. أنهم سيعدون لك فراشا وماء ساخنا للاغتسال وفي استطاعتك أن تنعمي ببعض

الراحة ريثما يحضر الدكتور بونسفوت جونز.. أنه الان في التل وسألحق به.. وسيعني بك ابراهيم.

وتقدم المدعو ابراهيم وعلي شفتيه ابتسامة عريضة. واقتادها الي داخل البيت، فمرت بقاعة فسيحة بها بعض الموائد والمقاعد القديمة.. ثم بدهليز طويل ينتهي بباب يؤدي الي فناء صغير وفي الجانب الاخر من الفناء غرفة صغيرة ينفذ اليها النور من كوة في الجدار.

وأجالت فيكتوريا البصر في جوانب الغرفة ورأت فراشا ودولابا سيىء الصنع ومائدة ومقعدا وآنية ماء.

وبعد قليل حول اليها ابراهيم وهو يبتسم وعاء مليئا بالماء الدافيء.. ومرآة صغيرة ثبتها بمسمار في الجدار.

وأحست فيكتوريا بالارتياح اذ سيتاح لها أن تغتسل وتتزين وتصفف شعرها. لم تعرف نفسها..

كانت قسمات وجهها علي حالها لم تتغير.. أما شعرها فقد أصبح لونه ذهبيا باهتا.

***

علم الأجناس البشرية



ذهب بيكر للقاء الدكتور بونسفورت جونز فوجد العالم الأثري الكبير يعمل بنفسه في خندق بالحفائر. وبيده معول يدق أحد الجدران في حرص وحذر شديدين. ولم يدهش الرجل حين رأي مساعده الشاب وقال ببساطة: هذا أنت يا فتي؟ لا أعلم لماذا كنت أعتقد أنك لن تعود قبل يوم الثلاثاء.

- هل أنت واثق؟ ولم ينتظر العالم الاثري الشيخ الاجابة ومضي يقول: اقترب يا فتي.. لانني أريد أن أعرف رأيك في هذا.. وقد بدأ الجدار يظهر رغم أننا لم نحفر أكثر من مترين.. ويخيل الي أني أري عليه آثار نقوش.. تعال وانظر

فوثب بيكر الي الخندق.. وبدأ بين الرجلين حوار فني بحت استغرق زهاء الربع ساعة وأخيرا قال بيكر:

ـ الواقع أنني عدت ومعي أحدي الفتيات.

- احدي الفتيات؟ ومن هي؟ - تقول انها ابنة أخيك.

- ابنة أخي؟

وحاول الرجل أن ينسي حفرياته ويركز تفكيره.. ثم قال:

- لا أذكر أن لي ابنة أخ.

قال ذلك بلهجة تدل علي أنه غير واثق.

ربما كانت له ابنة أخ غابت عن ذاكرته.

قال بيكر: يبدو مما فهمته أنها جاءت لتعمل معنا. فانبسطت أسارير العالم

الاثري وهتف: آه.. تذكرت.. لابد أنها فيرونيكا.

- يخيل الي أنها قالت أن أسمها فيكتوريا.

- نعم.. نعم..

ـ فيكتوريا.. لقد كتب لي ايمرسون بشأنها.. ايمرسون، الأستاذ بجامعة كمبردج.. يبدو أنها فتاة موهوبة تخصصت في علم الأجناس البشرية.. ولست أدري في الواقع اهتمام انسان بعلم كهذا.

- ولكن ألم تكن في انتظار فتاة تخصصت في هذا العلم؟

- نعم.. ولكني لم أكن أتوقع قدومها بهذه السرعة. فليس لدينا الان شيء في دائرة تخصصها يمكننا أن نقدمه اليها.. فهمت من رسالة ايمرسون أنها لن تحضر قبل أسبوعين.. ولكن يبدو أنني قرأت الرسالة بسرعة.. ثم أضعتها فلم ألم بمضمونها تماما.. وعلي كل حال يمكننا الافادة من الفتاة في تسجيل قطع الخزف التي عثرنا عليها وهي كثيرة ومن عصور مختلفة.

- هذه الفتاة.. أليست علي شيء من غرابة الاطوار؟

- غرابة الاطوار؟ ماذا تعني؟

- ألم تصب مثلا بمرض عصبي. أو شيء من هذا القبيل؟ قال لي ايمرسون في رسالته أنها ارهقت نفسها في الاستعداد للامتحان النهائي.. لكنه لم يذكر شيئا عن اصابتها بمرض ما.. لماذا تسأل؟

- لأنني التقطها من مكان مهجور في الصحراء.. كانت هناك وحدها.. فوق ذلك التل الذي توقفت أنت عنده العام الماضي. وقد قصت عليّ قصة عجيبة. قالت أنها ذهبت الي صالون للحلاقة فخدروها هناك ولكنها استطاعت الفرار في منتصف الليل.. الواقع أنني لم أسمع في حياتي قصة أبعد عن التصديق كهذه القصة التي روتها لي.

فهز الدكتور بونسفوت راسه موافقا وقال: حقا أنها لا تصدق. خاصة وأن الأمن يسود كل مكان في هذه البلاد.

- وهذا رأيي أيضا.. لقد كنت واثقا من أن القصة كلها محض اختلاق،

ولذلك أتساءل عما اذا كانت هذه الفتاة مصابة بمرض عصبي أو نفسي.. وهل هي من طراز الفتيات اللائي يزعمن أن القس طارحهن الحب أو أن الطبيب اعتدي عليهن فلو كانت كذلك لاثارت لنا متاعب نحن في غني عنها. فقال بونسفوت بلهجة المتفائل: اطمئن، فلسوف تهدأ.. أين هي الان؟

- في غرفة الضيافة.

ثم استطرد بعد تردد: لقد جاءت بدون بيجامة.

- أحقا تقول؟ لا شك أنها تتوقع أن اعيرها بعض ثيابي.. انني لا أملك سوي بيجامتين أحداهما مهلهلة يا الهي!! ما أعجب فتيات هذا الزمن!!

-٢-

وجدت فيكتوريا الدكتور بونسفوت يختلف تماما عما تخيلته.. رأت أمامها رجلا قصير القامة يميل الي البدانة، نصف أصلع واشد ما كانت دهشتها حين رأته يبسط لها يديه ويقول: طاب يومك يا فيرونيا.. أعني يا فيكتوريا.. أنني سعيد برؤيتك.. ومندهش.. فقد كنت أتوقع حضورك الشهر القادم.. ولكني سعيد بوجودك معنا علي كل حال.. لا يزال أيمرسون يعاني من ضيق التنفس.

فأجابت فيكتوريا بصوت حاولت أن يبدو ثابتا: أنه أحسن حالا.

- انه يبالغ في تغطية عنقه.. وقد قلت له ذلك مرارا، كل الجامعيين يسرفون في قلقهم علي صحتهم ولكن لنتحدث عنك.. قال لي ريتشارد أنك فقدت أمتعتك.. فماذا ستفعلين؟ اننا لن تستطيع ارسال السيارة الي المدينة قبل ثمانية أيام.

ثم ابتسم وقال: انني وريتشارد لا نملك شيئا يستحق الذكر.. كل ما نستطيع اعارتك اياه هو فرجون (فرشاة للاسنان) وحذاء وبعض المناديل. فابتسمت فيكتوريا بدورها وقالت:

- اطمئن فسأتصرف.

- وثمة شيء آخر.. أننا لم نكتشف بعد مقابر تساعدك علي ممارسة اختصاصك كباحثة في علم الاجناس البشرية.. يبد أن لدينا أعمالا كثيرة يمكن

أن تشغل كل وقتك.. هل تجيدين التصوير الفوتوغرافي؟

- نعم.

- هذا حسن.. من المحقق أننا سنفيد منك كثيرا.

وبعد الغذاء ذهب بها ابراهيم الي مخزن مقتنيات البعثة، فأخذت مما فيه من أدوات ما يمكن أن يفيدها شخصيا، ثم عادت الي غرفتها وتمددت علي فراشها وراحت ترتب أفكارها.. لم يكن هناك شك في أنهم يظنونها فتاة أخري.. تدعي فيرونيكا تعمل باحثة في علم الاجناس البشرية.. وكان الدكتور بونسفوت ينتظر حضورها.. ولكن ما هو علم الاجناس البشرية؟

ـ لا بأس.. انها سوف تبحث في احد القواميس.. للتزود بالمعرفة.. أن فيرونيكا هذه لا ينتظر قدومها قبل ثمانية أيام.. اذن فهي تستطيع أن تعيش هذه الأيام الثمانية في طمأنينة.

ان الدكتور بونسفوت جونز رجل طيب القلب، كثير النسيان، فليس ثمة خطر منه.

أما ريتشارد بيكر فانه يختلف عن أستاذه.. أنها لا تحب عجرفته.. ولا طريقته في الحملقة نحوها كمن يريد أن يتغلغل في أعماقها ويعرف دخيلة نفسها.

علما أن من حسن الحظ أنها عملت وقتا ما ككاتبة اختزال في معهد الاثار في لندن، فعرفت كثيرا من الاصطلاحات الاثرية التي تستطيع الان استخدامها والتستر وراءها.

أن الراحة خلال الايام الثمانية القادمة سوف تساعدها علي التقاط أنفاسها وتحديد موقفها.. وفكرت في (غصن الزيتون).

لا شك أنهم يتساءلون هناك الان عن مصيرها.. أما أعداؤها، فمن المؤكد أنهم سيظـنون أنها ضلت طريقها في الصحراء وهلكت جوعا وظمأ.. ولن يخطر لهم ببال أنها انضمت إلي بعثة الدكتور بونسفوت في حفائر (التل الاسود).

ومن المحزن أن يعتقد ادوارد مثل ذلك ايضا.. أنه لا يستطيع عمل شيء.. ولكنه اذا علم بطريقة أو بأخري بأن لكاترين يدا فيما أصابها.. فانه سوف يظل

نهبة القلق ووخز الضمير.

لأنه هو الذي ألح عليها أن توطد صداقتها بهذه الفتاة.

علي أنها ما لبثت أن أبتسمت حين تصورت دهشته عندما يري شعرها الذهبي. ولكن لماذا صبغوا شعرها؟

لابد أن لذلك سببا.. ولكن ما هو؟

ولم تلبث فيكتوريا خلال الايام القلائل التالية أن أكتشفت أن الحياة مع بعثة أثرية لا تخلو من الطرافة والاثارة.

كانت تقضي كل أوقات فراغها في التهام الكتب المحفوظة في مكتبة البعثة.. وكانت تقتصد في الكلام ما أمكنها الاقتصاد تجنبا للزلل. وتأقلمت مع حياتها الجديدة.. كانت تستيقظ من نومها في وقت متأخر، وتتناول الافطار ثم تذهب الي الحفائر للتصوير.. أو ترتيب قطع الآثار وتنسيقها وفقا للعصور، وكان أخوف ما تخافه أن يكتشف بونسفوت مقبرة ويطلب اليها فحص محتوياتها من هياكل وجماجم باعتبارها باحثة في علم الاجناس البشرية.. ولكنها قررت اذا حدث ذلك أن تصطنع المرض وتزعم أنها مريضة بالكلي.

ولكنها لم تضطر الي ذلك.. فان الدكتور بونسفوت لم يكتشف سوي جدران قصر قديم أخذت تظهر شيئا فشيئا. وهو كشف شد اهتمامها بطريقة لم تتوقعها، ولاحظ بيكر حماستها فقال لها وهو يبتسم: لقد كنت متحمسا مثلك عندما اشتركت في أعمال الحفر لأول مرة. هل كان ذلك منذ وقت طويل؟ منذ نحو خمسة عشر عاما.

- لابد انك تعرف هذه البلاد جيدا.

- أعرف هذه البلاد وغيرها.. أعرف العراق وسوريا وايران.

- ان من يسمعك تتكلم بالعربية يظن أنك من أهل هذه البلاد.. انه لا ينقصك سوي الثياب لتبدو عربيا.

ولكنه هز رأسه وأجاب:لا أعتقد أن هناك انجليزيا استطاع أن يقنع الآخرين بأنه عربي. هناك لا الكولونيل لورنس؟

- ربما.. ولكنه لم يكن مقنعا. أنا شخصيا لم أعرف سوي رجل واحد أمكنه أن يتنكر في زي عربي حتي ظن العرب أنفسهم أنه واحد منهم.. لقد عرفت هذا الرجل وهو صبي.. أنه ولد في الشرق وكان أبوه قنصلا لبريطانيا في (كاشقار). فتعلم اللغات الشرقية بكل لهجاتها التي يجهلها الاوروبيون وأعتقد أنه لن ينسي ما تعلم.

واستطرد: لقد انقطعت صلتي به بعد أن تخرجنا في جامعة (ايتون).. كنا نسميه (الفقير) لأنه كان يقضي الساعات الطوال دون أن يحرك ساكنا أو ينطق بكلمة.

- ألم تره قط بعد التخرج؟ رأيته مرة واحدة في (البصرة) منذ بضعة أيام. وكان ذلك في ظروف غريبة. أحقا؟

- لم أعرفه في البداية فقد كان متنكرا في زي عربي، في يده مسبحة وحول عنقه شملة (كوفية).. ولم ألق اليه بالا في البداية.. الي أن لاحظت أن حبات المسبحة تسقط الواحدة بعد الاخري في فترات منتظمة.. بالأسلوب الذي ترسل به البرقيات بطريقة (مورس) وفهمت أن الرسالة موجهة الي.

- وكيف علمت ذلك؟

- كان يكرر اسمي.. او علي الاصح لقبي.. ولقبه.. ويستنجد بي.

- ثم؟

- ثم نهض واقفا وسار نحو الباب، وفي نفس اللحظة نهض رجل بدين يبدو كالوكلاء التجاريين.. وأخرج مسدسا من جيبه وصوبه نحو صديقي.. ولكني ضربت ساعده بقوة، وبذلك نجا كارمايكل.

- كارمايكل؟ نطقت بهذا الاسم بلهجة غريبة جعلت بيكر يتحول اليها ويحملق في وجهها.

قال: نعم.. ذلك اسمه.. هل تعرفينه؟ وتصورت فيكتوريا دهشته حتي تقول له: نعم.. وقد مات في فراشي.

ولكنها أجابت: نعم.. كنت أعرفه.

- كنت تعرفينه؟ هل معني ذلك أنه.

فأومأت برأسها وأجابت: نعم.. أنه مات. - متي؟

- منذ بضعة أيام.. في بغداد.. فندق (تيو).. واستطردت قائلة بسرعة: لم يذع نبأ موته.. ولا أحد يعلم به.

فساد صمت قصير، ثم قال بيكر: ولكن.. كيف علمت أنت؟

- لأنني اشتركت في الحادث مصادفة.

فنظر اليها طويلا.. وكأنه يطلب مزيدا من التفصيلات ولكنها قالت فجأة: في الجامعة.. هل كانوا يلقبونك باسم (لوسيفر)؟

- لوسيفر؟ كلا.. كانوا يلقبونني باسم (البومة) لأنني كنت أستعمل عوينات كبيرة.

- ألا تعرف في (البصرة) شخصا كان يطلق عليه اسم لوسيفر.

ففكر قليلا وأجاب: كلا.. لوسيفر.. ابن الفجر.. الملاك الذي هوي.. لقد قرأت هذا الوصف للوسيفر في أحدي القصائد.

- هل لك في أن تذكر لي بالتفصيل ما حدث في البصرة؟

- لقد ذكرته لك. - أين وقع ذلك الحادث؟ في قاعة الانتظار بالقنصلية.. كنت قد ذهبت الي هناك لمقابلة كلايتون.

- من كان معك في قاعة الانتظار؟ كارمايكل.. وذلك الوكيل التجاري.. ومن أيضا؟ شخصان لا أعرفهما.. أحدهما يبدو فرنسيا.. والآخر شيخ ايراني.

- وكيف هرب كارمايكل؟

- انطلق يعدو في دهليز يؤدي الي مكتب القنصل ثم انحرف يسارا وباب يؤدي الي الحديقة.

- أعرف موقع ذلك الباب فقد قضيت فترة في القنصلية.. عقب رحيلك مباشرة.

- أحقا تقولين؟ هذا عجيب.

وظل يتفرس فيها.. ولكنها صمدت لنظراته.. وقالت:

- هل كان بالقنصلية ضيوف يومئذ؟

- كان هناك شخص يدعي كروسبي، يعمل في احدي شركات البترول. وتذكرت فيكتوريا الكابتن كروسبي.. وتساءلت أيمكن أن يكون هو (لوسيفر)؟

قالت: سؤال أخيرا.. هل يذكرك اسم (لافارج) بشيء؟

- كلا.. هل هو اسم رجل أم امراة؟ - لاأعلم.

وفي المساء، بعد أن أوت فيكتوريا الي فراشها، طلب بيكر من الدكتور بوسفرت أن يسمح له بالقاء نظرة علي الرسالة التي جاءته من ايمرسون، وقال موضحا:

- أريد أن أعرف بالضبط ماذا قال في رسالته عن هذه الفتاة.

فأجاب العالم الشيخ: المشكلة هي أنني لا اعرف أين وضعت الرسالة.. أنا واثق من أنني أحتفظ بها في مكان ما، فقد كتبت علي ظهرها بعض ملاحظات خاصة بالعمل.. ولكني أذكر تماما أن ايمرسون أطري فيرونيكا وامتدحها.. وأنا شخصيا أجدها فتاة ظريفة.. لقد فقدت امتعتها وعلي ذلك لم تثر أية ضجة أية فتاة أخري كان يمكن أن تطلب باصرار أن نعيدها الي بغداد.. أما هي فانها تقبلت خسارتها بروح رياضية. وهذا جميل منها.. ولكن كيف فقدت أمتعتها؟

- قالت انهم خدروها واختطفوها.. وسجنوها في أحد البيوت.

- آه.. هذا صحيح.. أنك ذكرت لي هذه القصة من قبل.

***

وقت الإثارة



بعد ظهر اليوم التالي، سمع الدكتور بونسفوت جونز صوت محرك سيارة فنظر الي الصحراءورأي سيارة قادمة من بعيد فصاح في ضيق: ها قد جاء زائرون جدد.. كأنما ليس لدي ما أفعله سوي استقبال هؤلاء الحمقي، وشرح آخر اكتشافاتي في الحفائر.
فقال بيكر:

ـ هل نسيت فيكتوريا؟ انها تستطيع أن تحل محلك في هذه المهمة.. ولديها من المعلومات ما يؤهلها للقيام بدور الدليل، أليس كذلك يا فيكتوريا؟
فأجابت الفتاة:

ـ ان معلوماتي قليلة وأخشي التورط في خطأ.

- فقال بيكر:

ـ انك شديدة التواضع.. فالبيانات التي أدليت بها الي صباح اليوم عن طريقة بناء الجدار الذي اكتشفناه في الحفائر لا تصدر الا عن أثري ضليع.. أو عن مهندس متمرس.

فشعرت فيكتوريا بالدم يصبغ وجنتيها وأجابت:

- مهما يكن من أمر فسأبذل قصاري جهدي.

والواقع.. أنها هي نفسها كانت في دهشة من الجهود التي بذلتها خلال الايام الخمسة التي قضتها مع البعثة حتي استطاعت تصنيف قطع الخزف وتحديد العصر الذي تنتمي اليه كل منها. وتصور نوع الحياة اليومية التي

كان يحياها الناس منذ ثلاثين قرنا، وأذهلها أن علماء الاثار لا يهتمون بقصور الملوك والمعابد فحسب كما كانت تتصور، وانما يهتمون كذلك بحياة الشعوب في مختلف العصور.

كانت فيكتوريا تفكر في كل ذلك وهي في طريقها مع بيكر لاستقبال الزائرين اللذين جاءا بالسيارة.

كانا من الفرنسيين الذين يهتمون بالحضارات القديمة وقد جابا أنحاء سوريا والعراق، فرحب بهما بيكر وقدم اليهما فيكتوريا ورافقتهما الفتاة إلي الحفائر، ورددت، كالببغاء، كل ما سمعته من ايضاحات، وشفعتها باضافات من صنع خيالها لتضفي عليها شيئاً من الاثارة. وبعد فترة من الوقت، اعتذر أحد الرجلين بمرضه، ورجاها تسمح له بالتماس بعض الراحة في البيت، وكانت قد لاحظت أنه ممتقع الوجه ولا يكاد يلقي بالا إلي حديثها:

ولما انصرف، قال عنه زميله أنه يشعر بالآلام في معدته وأنه اقترح عليه أن يرجيء الزيارة إلي يوم آخر ولكنه أصر.

وعندما فرغ الفرنسي من ارتياد الحفائر، دعاه الدكتور بونسفوت جونز إلي تناول الشاي ولكنه اعتذر بأنه وزميله يجب أن يبدأ رحلة العودة قبل الغروب حتي لا يضلا الطريق في الصحراء.

وعلي الأثر، استقل الفرنسيان سيارتهما وانطلقا بها.

وبعد تناول الشاي، ذهب بيكر إلي غرفته لكتابة بعض الرسائل التي اعتزم أن يودعها صندوق البريد في بغداد حين يذهب إليها في اليوم التالي.

ولكنه ما كاد يفتح أحد أدراج مكتبه حتي أدرك أن هناك من عبث بأوراقه وأمتعته. ولم يخامره شك في أن الفاعل هو ذلك الفرنسي الذي اصطنع المرض.

بيد أنه أكتشف أن شيئا لم يسرق.. حتي النقود كانت كلها في مكانها. إذن؟

وخطر له خاطر مزعج، فهرول إلي القاعة التي أطلق عليها أستاذه اسم قاعة «الانتيكات»، ولكنه وجد «الكنوز» الاثرية لم تمس، ولم يفقد منها شيء.

عاد إلي البهو ووجد فيكتوريا تقرأ كتاباً فقال لها:

- لقد قام بعضهم بتفتيش غرفتي.

- من تعني بكلمة «بعضهم»؟

- ألم تفعلي أنت ذلك؟

فقالت مستنكرة: أنا؟ كلا طبعاً. ماذا يحملني علي تفتيش غرفتك؟

- إذن لابد أن يكون الفاعل أحد الزائرين الفرنسيين، وبالتحديد.. ذلك الذي اصطنع المرض.

- هل سرق شيئا؟ - كلا.

- إذن لماذا بحق السماء.

فقاطعها بقوله: ظننتك تعلمين.

- أنا؟

- أن المغامرة التي رويتها لي.. والأخطار التي أحاطت بك.

- آه.. أتعني ذلك؟

وفكرت قليلاً ثم قالت:

- ولكن لماذا يفتشون غرفتك، وأنت لا شأن لك بماذا؟

ولكنها لم تتم عبارتها، واستغرقت في التفكير، ولم يلح عليها بيكر بالسؤال، وقنع بأن استفسر منها عن الكتاب الذي تقرأه فأجابت:

- لا يوجد في مكتبة البعثة من القصص إلا القليل.. أنني اقرأ «قصة مدينتين».

- ألم يسبق لك أن قرأتها؟

- كلا.. كنت أظن أن تشارلس ديكنز كاتب ممل.. ولكني وجدت هذه القصة طريفة ومثيرة.

- وأين أنت منها الآن؟

وأطل من فوق كتفها وقرأ:

«وأخذت المرأة التي تشتغل بالتريكو تحصي الرؤوس التي تفصلها المقصلة». فقالت فيكتوريا:

ـ إنها امرأة مرعبة.

- من؟ مدام ديفارج؟ أنها شخصية عجيبة.. وعلي الرغم من أنني لا أعرف «التريكو».. إلا أنني أرتاب في أن أحداً يستطيع تسجيل قائمة أسماء بواسطة الأبرة والتريكو.

- أظن أن ذلك ممكن.. «غرزة» إلي اليمين وغرزة إلي اليسار و..

كفت عن الكلام فجأة، وتبلج في ذهنها خاطر.. تذكرت الرجل الذي اقتحم غرفتها وهو جريح.. الشملة الحمراء التي كان يحيط بها عنقه.. والتي وجدتها هي بعد ذلك ودستها بين أمتعتها.. ثم نسيتها تماماً. كانت الشملة مصنوعة بالتريكو..

ولم تكن آخر كلمة نطق بها الرجل هي «لافارج» وانما «ديفارج».

لاشك أنه أراد الاشارة إلي ما كانت تفعله هذه المرأة، وإلي أنه قد سجل شيئاً في الشملة «الكوفية».

ورآها بيكر ساهمة مستغرقة في التفكير فقال لها:

- ماذا دهاك؟

- لا شيء.. كنت أفكر في أمر.

كانت تفكر في أنها ستعود غداً إلي بغداد، بعد أيام سعيدة قضتها مع البعثة ونعمت فيها بالراحة والطمأنينة في أعقاب المغامرات الرهيبة التي خاضتها. وشق عليها أن تعود إلي خدمة مستر داكين.. وإلي العمل في غصن الزيتون.

كلا.. أنها ستذهب إلي غرفتها، وتأتي بتلك الشملة.. وتقدمها إلي مستر داكين.. وبذلك تنتهي مهمتها.

ورفعت رأسها، ونظرت إلي بيكر، ووجدته يتفرس فيها.

قال لها فجأة: حديثني يا فيكتوريا.. ما اسمك حقاً؟ أنك لست فيرنيكا سافيل التي أوصي بها الدكتور ايمرسون لقد نصبت لك بضعة فخاخ فسقطت فيها دون أي تحفظ.

- أنني ذكرت لك اسمي عندما تقابلنا لأول مرة.. اسمي فيكتوريا جونز. هل أنت ابنة أخ الدكتور بونسفوت جونز؟

- كلا.. لقد رويت لك ما حدث لي ولكنك لم تصدقني.. ولذلك زعمت أنني ابنة

أخ الدكتور بونسفوت جونز حتي أحملك علي احترامي والكف عن السخرية مني ومن قصتي.. ان اسم الدكتور له وزنه واحترامه ولكني لم أكن أتوقع أنك ستأتي بي إليه.

- هل تريدين أن تقولي إن القصة التي سردتيها حقيقة؟ - أنها حقيقة. وهل ما رويت عن كارمايكل صحيح؟

- لقد رأيت مصرعه وكان ذلك هو بداية القصة كلها.

- إذن أسردي عليّ كل شيء بالتفصيل.

- لا أعلم إذا كنت أستطيع الوثوق بك!!

- أنك تقلبين الأوضاع.. هل نسيت أن هناك أكثر من سبب يحملني علي الاعتقاد بأنك ما جئت إلي هنا منتحلة من الأسماء والصفات ما ليس لك.. إلا لاستسقاء بعض المعلومات مني؟

بل ربما كان ذلك هو ما أنت بسبيله الآن..

- هل تعني أن لديك عن كارمايكل معلومات تهمهم؟

- تهمهم؟ من هم؟

- أظن أنني يجب أن أقص عليك القصة كلها من البداية.. فإذا كنت من أعدائي فأنت تعرف كل شيء فعلاً.. وما سأقصه عليك لن يغير شيئاً.

وسردت عليه القصة بحذافيرها، ولم تخف عنه شيئاً سوي موضوع الشملة الحمراء، وما استنتجته بشأنها وسألها بيكر بعد أن فرغت من قصتها: وهل تعتقدين أن الدكتور راتبون يلعب دوراً في هذه المؤامرة الرهيبة؟ لاشك أنك لا تجهلين أنه عالم كبير، وشخصية لها وزنها، وأنه يتلقي معونات من شتي أنحاء العالم..

- أن تنفيذ المؤامرات يتطلب شخصاً مثله.

- أنا شخصياً أعتقد أنه مهرج.

- ذلك قناع بارع يحجب حقيقته.

- ربما.. ولكن من هو «لافارج» الذي سألتني عنه؟

- مثله في ذلك مثل هيلين شيل.
- لا أعلم.. أنه بالنسبة إليّ مجرد اسم.
- هيلين شيل؟ لم أسمع قط شيئاً عنها.
- أنها تلعب دوراً هاماً.. ولكن هذا هو ما أجهله.
- هل لك أن تذكري لي مرة أخري اسم الرجل الذي اضحكك في هذه المغامرة؟
- اسمه داكين.. واعتقد أنه يعمل في إحدي شركات البترول.
- هل هو مهدل الثياب ويبدو متبلداً خاملاً لا يصلح لشيء؟
- نعم.. ولكن لا ينبغي أن تخدع بالظاهر.
فقلب بيكر شفتيه وهز رأسه وقال:
- كأنني أقرأ قصة بوليسية.
ولكن فيكتوريا كانت تفكر في مشكلة أخري.. وقالت:
- ماذا ينبغي أن تقول للدكتور بونسفوت جونز؟ يجب أن نصارحه بالحقيقة.
- لن نقول له شيئاً.. ما الفائدة؟

***

التل الأسود



شعرت فيكتوريا بغصة وهل تلقي نظرة أخيرة علي التل الأسود قبل أن تنطلق بها السيارة إلي بغداد.
وبعد نحو ثلاث ساعات، وصلت السيارة إلي بغداد، وهناك انطلق السائق والطاهي لشراء ما تحتاج إليه البعثة من مؤن، وقصدت فيكتوريا وبيكر إلي فندق تيو.

وبينما كان بيكر يتسلم الرسائل الخاصة به وبأستاذه، أقبل ماركوس تيو وعلي شفتيه ابتسامة عريضة، فرحب بفيكتوريا ترحيباً حاراً، وعتب عليها أنها لم تحضر إلي الفندق منذ وقت طويل، وأدركت فيكتوريا أنه لا يعلم شيئاً عن اختطافها، وخلصت من ذلك إلي أن داكين لابد أن يكون قد نصح ادوارد بعدم إبلاغ البوليس.

وسألت فيكتوريا صاحب الفندق عما إذا كان مستر داكين موجوداً في بغداد، فأجابها بقوله:

- لقد رأيناه أول أمس.. ونحن الآن في انتظار صديقه الكابتن كروسبي الذي سيعود اليوم من «كرمنشاه».

- هل تعرف أين يوجد مكتب مستر داكين؟

- طبعاً.. ومن ذا الذي لا يعرف مقر شركة البترول العراقية - الإيرانية؟ حسناً.. سأذهب الآن بإحدي سيارات الأجرة لمقابلته، ولكني أخشي أن يضل

السائق عن الطريق.

- اطمئني.. سأتولي بنفسي ارشاد السائق.

واستقلت فيكتوريا إحدي سيارات الأجرة، وقالت تحدث ماركوس:

- نسيت أن أقول لك إنني بحاجة إلي غرفة في فندقك.

- سأحجز لك أفخم غرفة.. وسأعد لك عشاء شهياً.

- وهل أستطيع أن اقترض منك بعض النقود؟

- إليك محفظتي أيتها العزيزة.. خذي منها ما تريدين.

وبعد نحو خمس دقائق.. كانت فيكتوريا في مكتب مستر داكين بشركة البترول.. ونهض هذا لاستقبالها.. وهو يقول:

- الآنسة جونز؟ اليس كذلك؟ أحضر لنا قهوة يا عبدالله.

وما أن خرج الصبي العربي حتي قال داكين بصوت خافت:

- ما كان ينبغي أن تحضري إلي هنا؟

- لم يسعني أن أفعل غير ذلك.. فإن لدي ما أريد أن أفضي به إليك قبل أن أقع في ورطة جديدة.

- وهل كنت في ورطة؟ ماذا حدث؟

- ألم يقل لك أدوارد؟ لم يقل لي أحد شيئاً.

وعاد الرجل إلي الجلوس أمام مكتبه وهو يقول: ماذا حدث؟

ثم أضاف بعد قليل:

- كنت أفضل أن يظل شعرك في لونه الطبيعي.

فصمتت الفتاة ولم تجب.

ودخل عبدالله فوضع أقداح القهوة وانصرف، وحينئذ قال داكين: في استطاعتك الآن أن تتكلمي فإن الجدران سميكة ولن يسمعنا أحد.

وفي بساطة ووضوح، روت فيكتوريا قصة اختطافها وهروبها، وكيف وجدت الصلة بين «تريكو» مدام ديفارج وشملة كارمايكل.

وأصغي إليها داكين باهتمام شديد، وقال وعيناه تتألقان فرحاً:

- هذه أول معلومات ذات قيمة تصل إلينا.. ولكن أين توجد الشملة الآن؟ بين أمتعتي.

- ألا يعلم بأمرها أحد؟

- كلا.. لسبب بسيط هو أنني كنت نسيتها تماماً.

- هذا حسن.. وعلي فرض أن بعضهم فتش حقائبك أثناء غيابك فإن الشملة القديمة لن تثير اهتمام احد.. أن أول ما يجب عمله هو أن نسترد حقائبك.. أين تقيمين الآن: لقد استأجرت غرفة في فندق تيو.

- أحسنت صنعاً.

- هل تريدني أن أعود إلي غصن الزيتون؟ هل أنت خائفة؟

- كلا.. وسأعود إذا طلبت مني ذلك.

- لا أظن أنه من الضروري أو من الحكمة أن تعودي إلي ذلك المعهد، ويخيل إليّ أنهم عرفوا حقيقة أمرك.. وإذا ذهبت فلن تظفري بشيء جديد.. ومن يدري فقد تعودين من هناك بشعر أحمر.

- لا أدري حقاً لماذا صبغوا شعري.. هل لديك أية فكرة؟

- يوجد تعليل واحد.. مؤلم.. هو أنهم أرادوا اخفاء معالم جثتك.

- إذا كان في نيتهم قتلي.. فلماذا لم يفعلوا ذلك في التو واللحظة؟

- هذا سؤال علي جانب عظيم من الأهمية أيتها العزيزة.. وحبذا لو كان في استطاعتي أن أرد عليه.

وساد الصمت لحظة.. ثم قالت فيكتوريا فجأة:

- نسيت أن أقول لك شيئاً هاماً.. هل تذكر ما قلته لك يوماً، من أن شيئاً في السير روبرت كروفتون لي قد تغير؟ نعم.

- هل كنت تعرف السير روبرت شخصياً؟

- كلا.. لم أقابله إلا هنا في بغداد.

- أن الرجل الذي قابلته هنا لم يكن السير روبرت.

وذكرت له ما لديها من معلومات عن السير روبرت ورحلته إلي بغداد، فهتف داكين قائلاً: ذلك يوضح كل شيء.. لقد تخلي كارمايكل عن حذره حين قابل السير روبرت في الفندق.. فانتهز هذه الفرصة وفتك به، ولكن كارمايكل استطاع الوصول إلي غرفتك ومعه الشملة التي يمكننا أن نقول إنه حرص عليها حتي آخر لحظة من حياته.

- هل تعتقد أنني اختطفت لكيلا أنهي إليك هذه الحقيقة؟ ومع ذلك فإنني لم أصارح بها أحدا سوي ادوارد.

- أعتقد أنهم رأوا أن الوقت قد حان لتصفيتك لأنك تعرفين عن غصن الزيتون أكثر مما ينبغي.

- لقد حذرني الدكتور راتبون.. أو علي الأصح هددني.. لابد أنهم عرفوا عن يقين حقيقة الدور الذي أقوم به.

- أن راتبون ليس مغفلاً.

- الواقع أنني سعيدة بأنني لن أعود إلي غصن الزيتون.. كل ما أخشاه هو ألا تتاح لي بعد ذلك فرصة للقاء ادوارد.

فابتسم داكين وقال:

- إذا لم يذهب محمد إلي الجبل فإن الجبل يأتي إلي محمد.. اكتبي الآن إلي ادوارد.. قولي له إنك تقيمين في فندق تيو وأنك تعتمدين عليه في احضار

حقائبك.

أنني سأذهب بعد قليل لمقابلة الدكتور راتبون بشأن حفلة يزمع اقامتها.. وسيكون في استطاعتي أن أوصل رسالتك إلي ادوارد فلا تعلم كاترين عنها شيئاً.

أما أنت فعليك أن تعودى إلي فندق تيو وأن تنتظري هناك.. وإذا.

وتردد.. فسألته: وإذا ماذا؟

- وإذا وقعت في مأزق فلا تفكري إلا في نفسك.

سيكون هناك من يتولي حراستك.. ولكن اعداءك أقوياء.. وأنت تعرفين عنهم الكثير.

***

لغز كاترين



صففت فيكتوريا شعرها الأشقر وصبغت شفتيها وجلست في شرفة فندق تيو، لتقوم مرة أخري بدور جولييت مع روميو.
وجاء روميو ولمحته فيكتوريا ونادته: ادوارد!!
فنظر نحو مصدر الصوت ورآها وهتف:
- آه.. أنت هنا؟

ولحق بها في الشرفة وكانت خالية، ونظر إليها بشيء من الحيرة وقال: انبئيني يا فيكتوريا، ماذا فعلت بشعرك؟
فتنهدت في ضيق وأجابت:
- وإذا سألني سائل عن لون شعري بعد الآن فلن أتردد في تمزيق وجهه بأظافري.
- كنت أفضل لونه الأول فلماذا صبغته؟
- سل كاترين.
- كاترين؟ وما صلتها بذلك.
- ألم تطلب إليّ أن أوثق صداقتي بها؟ لقد أطعتك.. وها هي النتيجة.. أكبر الظن أنها لم تنبئك بما حدث لي.
- ماذا حدث لك؟ لقد اقلقني غيابك.
- أحقا تقول؟ ألا تعلم أين كنت؟
- كنت في الموصل طبعاً.. فقد نقلت إلي كاترين رسالتك الشفوية التي قلت

فيها أنك اضطررت إلي السفر فجأة إلي الموصل.. وأنك سوف توافينني بأنبائك. وهل صدقت ذلك؟

- ظننت أنك أمسكت بطرق خيط هام، ورأيت من الصواب أن تكتمي الأمر عن كاترين.

- ألم يخطر لك ببال أنها قد كذبت؟ كان يجب عليها أن تنبئك بأنهم خدروني واختطفوني.

- يا الهي!! لم أتصور مطلقاً أن يحدث أمر كهذا.. ولكن.. ألا ترين من الحكمة ألا نتحدث في هذه الأمور في مثل هذا المكان؟ أليس من الأصوب أن نصعد إلي غرفتك؟

- علي رسلك.. هل أحضرت حقائبي؟

- نعم.. وقد وضعتها عند موظف الاستقبال في الفندق.

- احسنت صنعاً.. أنني لم استبدل ثيابي منذ أسبوع.

- ولكن.. ما حدث لك بالتفصيل يا فيكتوريا؟

- أنها قصة طويلة.

- هل تعلمين ماذا يجب أن نفعل؟ أن معي سيارة.. وأعرف مكاناً في الضواحي علي جانب عظيم من الجمال والروعة في مثل هذه الفصل من السنة. هلم بنا إليه.

وهرولا إلي السيارة كعاشقين ينشدان الخلوة بعيداً عن الأنظار.. وجلس ادوارد أمام عجلة القيادة وانطلق بالسيارة في طريق بعيد يتجه نحو الجنوب. وبعد نحو نصف ساعة، انحرف بالسيارة نحو اليمين وأوقفها وسط ما يشبه غابة صغيرة من أشجار اللوز والبرقوق والنخيل.

كان المكان رائعاً حقاً.. فهتفت فيكتوريا وهي تغادر السيارة «تملأ رئتيها بالنسيم النقي».

- كأننا في انجلترا في فصل الربيع.

وجلسا علي العشب تحت مظلة من أشجار الورد وقال أدوارد:

- الآن.. بوسعك أن تسردي لي آخر مغامراتك.

فسردت له قصتها منذ ذهبت إلي صالون المرأة الأرمنية إلي أن أنضمت إلي بعثة الدكتور بونسفوت جونز.. وكيف لعبت دور فتاة كان الدكتور يترقب وصولها.

وانفجر أدوارد ضاحكاً وصاح: الحق أنك فتاة رائعة يا فيكتوريا.. أن سرعة خاطرك وخصوبة خيالك تدعوان إلي الدهشة.

فابتسمت وقالت: أليس كذلك؟ الواقع أنني أفدت كثيراً من الانتساب إلي أعمام كالدكتور يونسفوت جونز وأسقف لانجو.

وعندما قالت ذلك تذكرت امرا وتلاشت الابتسامة عن شفتيها.

تذكرت سؤالاً همت بالقائه علي ادوارد في حديقة القنصلية بالبصرة لوا أن قطعت زوجة القنصل حديثهما.

قالت: لقد تذكرت سؤالاً كنت أود أن ألقيه عليك منذ وقت طويل يا أدوارد.. كيف علمت أنني أخترعت عماً.. هو أسقف لانجو؟

وكان ممسكا بيدها.. فأحست بأصابعه تضغط يدها بشدة.. وسمعته يقول بسرعة: أنت ذكرت لي ذلك.

فنظرت إليه بحدة..

وحين فكرت في الأمر فيما بعد، أدهشها أن تؤدي كذبة تافهة إلي النتائج الهائلة التي ترتبت علي هذه الكذبة التي نطق بها أدوارد في غير تحرز.

لقد أخذه السؤال علي غرة منه.. وكان تقلص عضلات وجهه دليلاً علي أنه لم يرض كل الرضا عن أجابته.

وبدأت الحقائق تتبلج أمام عيني فيكتوريا.. أو لعلها كانت قابعة في ذهنها منذ وقت طويل ولكنها لم ترها إلا في تلك اللحظة.

لم تكن قد حدثت أدوارد عن أسقف لانجو.. والشخصان الوحيدان اللذان سمعا منها اسم هذا الأسقف الخيالي هما مستر هاملتون كليب وزوجته.. ولايمكن أن يكون احدهما أو كلاهما قد قابلا ادوارد في بغداد.

لقد بقي هاملتون كليب في لندن، ووصلت زوجته إلي بغداد حين كان أدوارد

لايزال في البصرة.

إذن لابد أنهما ذكرا له قصة الأسقف في لندن.

ومعني هذا أن أدوارد كان يعلم منذ البداية أن فيكتوريا ستذهب إلي العراق في رفقة مسز كليب.

تباً لها.. ما أغباها!! لقد ظنت أن الأمر مجرد مصادفة.. بينما هو في الواقع مدبر ومرسوم.

وأدركت فجأة.. ماذا كان يعني كارمايكل حين ذكر اسم لوسيفر.

لوسيفر.. أجمل الملائكة.

لوسيفر الذي طرد من الجنة.

لوسيفر.. ابن الصباح.. الملاك الذي سقط.

وإذن فإن راتبون ليس الزعيم.. أن الزعيم هو ادوارد.. ادوارد الموظف الصغير الذي يبدو في الظاهر بلا حول ولا قوة.. بينما هو في الواقع كل شيء.

أما راتبون.. فإنه مجرد ستار.

ولعله ليس من الرداءة كما توهمت.. فهو علي الأقل قد نصحها بالفرار قبل فوات الوقت.

واكتشفت فيكتوريا في ذات الوقت.. أنها لم تحب ادوارد قط.. وأنما اعجبت به فقط كما تعجب أية فتاة غريرة بأحد نجوم السينما.

لم تستغرق كل هذه التأملات سوي ثوان، ولم يظهر لها أي أثر علي وجه فيكتوريا وهي تنظر إلي أدوارد بإعجاب مصطنع.

والواقع أنها أحست بغريزتها أنها في خطر.. وأنه لا توجد لنجاتها سوي وسيلة واحدة.. فلجأت إليها.

قالت: هل تعرف ماذا خطر لي؟ خطر لي أنك الذي دبرت كل شيء لتيسر قدومي إلي بغداد.. الحق أنك رجل مدهش يا أدوارد.

فارتسمت علي شفتيه ابتسامة غامضة ولم يجب.

قالت: ولكن كيف استطعت أن تدبر كل ذلك؟ لابد أنك صاحب نفوذ وسلطان

لا حدود لهما.. ولقد بدأت ارتاب في أنك تحبني حقاً.

- أنت تعلمين أنني أحبك.

- ولكن ما الهدف من كل هذا يا أدوارد؟ أريد أن أفهم.

- الهدف هو خلق عالم جديد.. عالم جديد ينهض علي انقاض العالم القديم الفاسد. أوضح.

فانطلق يتحدث في حماسة شديدة عن الأهداف التي كرس لها حياته فقال إن العالم تتنازعه قوتان عظيمتان.. هما الرأسمالية والشيوعية.. الأولي تحرص علي وصفها وتقيم العقبات في طريق التطور الحضاري والثانية تعمل علي فرض سيطرتها علي العالم.

هاتان القوتان يجب أن تختفيا.. يجب أن تدمر كل منهما الأخري.. ولا سبيل إلي ذلك إلا بحرب عالمية تمحو الماضي من أساسه.. لكي يقبض الشباب علي زمام الأمر في عالم جديد تماماً.. تحكمه نظم جديدة.. ومبادئ جديدة. ولكن.. ألن تذهب هذه الحرب العالمية بأرواح ملايين من الضحايا الأبرياء؟

- يجب أن تفهمي أنه لا يمكن إقامة نظام جديد بغير ضحايا.

كان في مقدورها أن تقول الكثير رداً علي هذا المنطق السقيم ولكنها آثرت الصمت.. ومضت في لعبتها.

قالت: كم أنا معجبة بك يا أدوارد!! ولكن ماذا في استطاعتي أنا أن أفعل؟ هل أنت علي استعداد لخدمة أهدافنا؟

- أنني لا أعرف سواك يا أدوارد، وثقتي بك لا حد لها، فلك أن تأمر وعلي أن أطيع. - هذا حسن.

- حدثني أولاً لماذا جئت بي هنا؟ لابد أن يكون هناك سبب.

- نعم.. هناك سبب.. هل تذكرين أول لقاء لنا؟ أنني التقطت لك يومئذ صورتين. نعم.. أذكر ذلك.

- لقد أدهشني وجود تشابه عجيب بينك وبين فتاة أخري فالتقطت صورتك لكي أتحقق من أنني لم أخطي.

- ومن هي تلك الفتاة التي أشبهها؟ هيلين شيل.
- هيلين شيل؟ أنا أشبه هيلين شيل؟
ولم تستطع الفتاة اخفاء دهشتها فقال ادوارد:
- إن التشابه ليس قاصراً علي المنظر الجانبي والأمامي، ولكنه يتجاوز ذلك إلي وجود ندبة علي يمين الشفة العليا لدي كل منكما.
- هذه الندبة هي من أثر سقوطي من فوق شجرة وأنا طفلة.. ولكن أحجبها دائماً بالدهون والمساحيق. أن لهيلين شيل ندبة مماثلة.. وهي أكبر منك بنحو أربع أو خمس سنوات ولكنها تماثلك طولاً ووزناً. كل ما هنالك من اختلاف بينكما هو أن شعرك أسود وشعرها أشقر.. وأن زرقة عينيها أخف من زرقة عينيك.. ولكن هذا الاختلاف الأخير يمكن علاجه بالعدسات الملتصقة.
- وهل هذا التشابه هو الذي حملك علي إحضاري إلي بغداد؟
- نعم.. فقد قدرت أننا نستطيع الافادة منه.
- ولذلك دبرت الأمر مع مستر كليب وزوجته؟ ولكن من هما بالتحديد؟ مهملتان لا أهمية لهما.. يفعلان ما يؤمران به.
يا الهي!! ما أشد صلفه وغروره.. أنه معبود نفسه.. وذلك ما يجعله إنساناً رهيباً.
قالت: ولكن ألم تقل لي أن هيلين شيل شخصية هامة في منظمتكم؟
- أنما أردت أن أضللك.. فقد كنت تعلمين أموراً كثيرة.
وهنا قالت فيكتوريا لنفسها.. أن التشابه بينها وبين هيلين شيل ربما قد أنقذ حياتها.
- ومن تكون هيلين شيل هذه؟
- أنها السكرتيرة الخاصة للمالي الدولي أوتومورجنتال.. وهي فتاة ذات عقلية جبارة، ولدينا من الأسباب ما يحملنا علي الاعتقاد بأنها تعرف الكثير عن صفقاتنا المالية.. كان هناك ثلاثة أشخاص علي جانب عظيم من الخطورة بالنسبة الينا.. روبرت كروفتون لي، وكارمايكال، وقد تمت تصفيتهما.. أما هيلين

شيل فإنها لاتزال علي قيد الحياة.. وينتظر أن تصل إلي بغداد خلال ثلاثة أيام.. ولكنها الآن مختفية. مختفية؟ أين؟

- في لندن.

- ألا يعرف أحد مكانها؟ وأنت.. أليست لديك أية فكرة عنها؟

فقال بعد تردد قصير: المفهوم أنها يجب أن تحضر إلي بغداد للاشتراك في المؤتمر الدولي الذي سيعقد بعد خمسة أيام كما تعلمين.. وقد بحثنا في سجلات الشركات السياحية ووجدنا أن هناك مكانا محجوزاً علي إحدي الطائرات باسم سيدة تدعي جريتا هاردن.. وبالاستعلام عن جريتا هاردن وجدنا أنه اسم مستعار لسيدة أدلت عن نفسها ببيانات زائفة.. ولذلك فإننا نعتقد أن جريتا هاردن هذه ليست سوي هيلين شيل. وصمت لحظة ثم استطرد قائلاً:

- إن طائرتها ستصل إلي دمشق بعد غد.

وبعد ذلك سيتوقف كل شيء عليك أنت.

- علي أنا؟ نعم.. لأنك ستحلين محلها.

فتذكرت السير روبرت كروفتون لي، وفر لونها.

لقد لقي السير روبرت مصرعه في عملية مماثلة.. وجاء الآن دور هيلين شيل.

وفكرت فيكتوريا في أنها إذا رفضت الدور الذي يعرضه عليها ادوار، فإنه سيرتاب في اخلاصها ويفتك بها.. قبل أن تتمكن من الاتصال بداكين وإظهاره علي اكتشافها الجديد.

كان لزاماً عليها أن تقبل.. فتلك هي فرصتها الوحيدة لإمكان الاتصال بداكين.

تنهدت وقالت: ولكني لا أستطيع أن أقبل ذلك يا ادوارد.. سيفتضح أمري تواً.. لأنني لا أعرف اللكنة الأمريكية.

- أن هيلين تتكلم الانجليزية بغير أية لكنة.. ثم أنك ستصابين بمرض في الحلق، وسيؤيد ذلك طبيب من أكبر أطباء بغداد.

- وماذا يجب عليّ أن أفعل؟

- ستغادرين دمشق بصفتك جريتا هاردن وستلازمين فراشك في بغداد

بأمر الطبيب، ولا تغادرينه إلا بالاشتراك في المؤتمر يوم افتتاحه.. وهناك تقدمين ما معك من وثائق.

- وثائق مزيفة بطبيعة الحال؟

- نعم.. وقد فرغنا من أعدادها.

- وماذا تثبت هذه الوثائق؟

فابتسم ادوارد وأجاب: تثبت وجود مؤامرة شيوعية لقلب نظام الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية.

- وهل تعتقد يا ادوارد أن لدي الكفاءة للقيام بهذا الدور؟

- ولم لا.. أنك بارعة في الكذب.

ولم يسع فيكتوريا إلا الاعتراف فيما بينها وبين نفسها بفوائد الكذب، فلولا أنها نسبت نفسها كذباً إلي أسقف لانجو لما استطاعت أن تميط اللثام عن حقيقة ادوارد.

فقالت: والدكتور راتبون.. هل هو أيضاً من زعماء المنظمة؟

فقلب ادوارد شفته باحتقار وأجاب:

- إن راتبون يطيع ولا يأمر.. هل تعلمين ماذا فعل هذا الأستاذ العظيم؟ لقد ظل طوال سنوات عديدة يختلس لنفسه ثلاثة أرباع الاشتراكات والمعونات التي ترسل للمعهد من شتي أنحاء العالم.

أنه محتال بارع، ولكنه أصبح في قبضة يدنا، وفي استطاعتنا أن نفضحه في أية لحظة، وهو يعلم ذلك جيداً.

وتخيلت فيكتويا الدكتور رابتون بجبهته العريضة وشعره الأبيض وقالت لنفسها أنه ربما كان محتالاً.. ولكنه إنسان جدير بالشفقة.

ونهض ادوارد وهو يقول: آن لنا أن نرحل، لكي نعد العدة للخطوة التالية: وكان ذلك هو ما تتوق إليه فيكتوريا.. كانت تتوق إلي العودة إلي بغداد في أقرب وقت.. فإن الخطر عليها هناك سيكون أقل.

قالت تحدث أدوارد:

- قلت منذ لحظة إن مستر داكين ربما كان يعرف مكان هيلين شيل.. أن في استطاعتي أن احمله علي الكلام.. والإفضاء إليّ بمعلوماته عنها.

- لا أمل في ذلك.. ثم أنك لن تقابلي داكين.

فأحست فيكتوريا كأن قلبها قد كف عن الحركة.. ووجدت من الضروري أن تكذب.. وبجرأة.. قالت:

- ولكني كنت علي موعد معه هذا المساء. فإذا لم أذهب إليه فقد يرتاب في الأمر.

- ذلك لا أهمية له في الوقت الحاضر.. لقد أعددنا مخططاتنا.. ولا ضرورة لبقائك في بغداد.

- ولكن أمتعتي كلها في فندق تيو.

كانت تفكر في شملة كارمايكل.

- لن تكونى بحاجة إلي امتعتك في الوقت الحاضر. أنني أعددت لك زياً خاصاً.. هلمي بنا.

وأدركت فيكتوريا أنه كان من العبث أن تتصور أن ادوارد سيسمح لها بفرصة الاتصال بداكين بعد أن علمت من أمره ما علمت.

وانطلقت بهما السيارة في الطريق إلي بغداد.. وساد السكون بينهما فترة طويلة.. إلي أن غمغم أدوارد قائلاً وكأنه يحدث نفسه:

- لافارج!! ليتني أعلم لماذا ذكر كارمايكل هذا الاسم؟

وسرعان ما تفتق ذهن فيكتوريا عن كذبة جديدة.

صاحت: آه.. نسيت أن أقول لك.. إن رجلاً يدعي لافارج زار حفائر التل الأسود منذ بضعة أيام.

فصاح أدوارد وقد اختلت عجلة القيادة في يده:

ـ ماذا قلت؟ متي حدث ذلك؟

فتظاهرت فيكتوريا بالتفكير.. وأجابت بعد لحظة: منذ نحو ثمانية أيام.. وقد قال إنه يبحث عن الآثار في سوريا مع بعثة «باور».

- وهل زار الحفائر وأنت هناك رجلان يدعي احدهما أندريو والآخر جوفيه؟
- نعم.. وأذكر أن أحدهما أصيب بألم في معدته.
- لقد كانا من أتباعنا.
- وهل أرسلتهما للبحث عني؟
- كلا.. فأنني لم أكن أعرف مكانك.. ولكن حدث أن ريتشارد بيكر كان في البصرة في نفس الوقت مع كارمايكل، فخطر لنا أن كارمايكل قد أودع لديه بعض الوثائق التي تهمنا.
- آه.. هذا يفسر شكوي بيكر من أن بعضهم عبث بأمتعته.. هل وجد الرجلان شيئاً؟
- كلا.. ولكن فكري جيداً يا فيكتوريا.. هل وصل لافارج إلي الحفائر قبل الرجلين أم بعدهما؟

فتظاهرت بالتفكير وأجابت: قبلهما.. بنحو أربع وعشرين ساعة.

- وماذا فعل؟
- تفقد الحفائر مع الدكتور بونسفوت جونز ثم رافق بيكر إلي المنزل لزيارة مخزن الآثار.
- وهل دار حديث بين لافارج وبيكر؟
- لا أعلم.. فإنني كنت في قاعة التصوير.
- ليتني أعلم من يكون لافارج هذا.. هل تستطيعين وصفه؟
- أنه طويل القامة نحيف الجسم، أسود شعر الرأس، شاحب اللون. فتنهد ادوارد ولزم الصمت.

وأوقف أدوارد السيارة أمام «فيلا» في الحي الأوروبي خارج بغداد، ودق جرس الباب ففتحت امرأة قصيرة القامة شاحبة الوجه.

وتبادل أدوارد مع المرأة بعض العبارات باللغة الفرنسية، فذهبت المرأة بفيكتوريا إلي إحدي غرف النوم.. وبعد نحو نصف ساعة، خرجت المرأتان من الغرفة وهما ترتديان ثياب الراهبات وفي يد كل منهما مسبحة.

ونظر ادوارد إلي فيكتوريا وصاح وهو يبتسم:

- انك أجمل راهبة رأيتها في حياتي.. أنما ينبغي أن ترخي أهدابك وتنكسي رأسك وخاصة أمام الرجال.

ثم رافق المرأتين إلي سيارة كانت تنتظر بالباب وقال يحدث فيكتوريا: كل شيء الآن يتوقف عليك يا فيكتوريا.. فأفعلي كل ما يطلب إليك.

- ألا تأتي معنا؟ - كلا.. ولكننا سنلتقي فيما بعد.

ثم أدني رأسه منها وقال بصوت عذب: أنني أعتمد عليك أيتها الحبيبة.. فهذا دور لا يستطيع القيام به سواك.. أن أوراقك كاملة ولن تصادفك متاعب عند الحدود.. وبهذه المناسبة.. أنت الآن الأخت ماري دايزانج.. وهذه هي الأخت تيريز.. أنها ستهتم بكل شيء.. وعليك بطاعتها.

قال ذلك.. ثم أومأ إلي سائق السيارة فأدار محركها وما هي إلا لحظة حتي كانت تطوي الأرض طياً.

وفكرت فيكتوريا في أنها ربما تستطيع الاستغاثة في شوارع بغداد، أو عند الحدود.. ولكنها ما كادت تري المسدس الذي وضعته زميلتها في كم ثوبها حتي أقلعت عن التفكير في الاستغاثة.

***

الفندق العباسي



هبطت الطائرة الضخمة بسلام، وغادرها ركابها.. وكان بينهم أربعة أشخاص يقصدون إلي بغداد ويتعين عليهم أن يستقلوا طائرة أخري، بعد عرض جوازاتهم علي الموظف المسئول.

وأحد هؤلاء الأربعة رجل عربي بدين يبدو أنه تاجر عراقي، والثاني طبيب إنجليزي شاب وسيدتان.

وتقدمت إحدي السيدتين من الموظف المختص، فتناول جواز سفرها.. وقال وهو يتصفحه:

- مدام بونسفورت جونز؟ إنجليزية؟ هل ستلحقين بزوجك؟ حسناً.. ما عنوانك في بغداد؟ شكراً.. كم معك من النقود؟

وتقدمت الثانية، وكانت في مقتبل العمر، شقراء نحيفة، فتناول الموظف جواز سفرها.. وقال وهو يتصفحه:

- مدموازيل جريتا هاردن؟ دانمركية، قادمة من لندن؟ ما عنوانك في بغداد؟ شكراً.. كم معك من النقود؟

وقيل للمسافرين الأربعة إن الطائرة ستقلع في المساء. وأن هناك سيارة ستقلهم إلي الفندق العباسي، حيث يتناولون طعام الغداء ويلتمسون بعض الراحة.

وفي الفندق العباسي، تمددت جريتا هاردن في فراشها، وقامت بتصفح

إحدي المجلات حين سمعت طرقاً علي الباب، ففتحته ووجدت أمامها مضيفة تضع علي صدرها شارة شركة الطيران.. قالت المضيفة: يؤسفني أن أزعجك يا مدموازيل هاردن.. ولكن يبدو أن هناك خطأ في تذكرة سفرك.. أن الأمر بسيط علي كل حال.. فهلا تفضلت معي إلي مكتب الشركة في الفندق؟ أنه في آخر الدهليز.

ولم تكد جريتا هاردن تدخل غرفة علي بابها لوحة تحمل كلمة «مكتب» - وقد اختفت هذه اللوحة في اللحظة التالية - حتي وضعت علي فمها كمامة، وألقي علي رأسها كيس من القماش الأسود.. وامسك بها رجلان ليمنعاها من الحركة، وتقدم ثالث يبدو أنه طبيب فكشف عن ذراعها وأغمد فيه أبرة.. وبعد ثلاثين ثانية غابت الفتاة عن وعيها تماماً.

قال الطبيب: لن تفيق قبل ست ساعات.

ثم فتح بابا وأطل منه وقال: تعاليا فدخلت امرأتان ترتديان ثياب الراهبات.. وانصرف الرجال الثلاثة.

وعلي الفور تبادلت أصغر الراهبتين ثيابها مع جريتا هاردن.. واقبلت الراهبة الثانية فقصت شعر زميلتها علي نحو ما تفعل هيلين بشعرها، واستعانت في ذلك بصورة فوتوغرافية كانت معها وما أن فرغت من ذلك حتي دق الباب ودخل الرجال الثلاثة وعلي وجوههم دلائل الارتياح.

قال الطبيب: ليس ثمة شك في أن جريتا هي هيلين شيل.. لقد وجدنا أوراقها مخبأة في حقيبتها وسط حزمة من المجلات.

ثم انحني باحترام أمام فيكتوريا وقال: والآن يا آنسة هاردن.. هل تشرفيني بتناول طعام الغذاء معي؟ وتبعته فيكتوريا..

ولم يكن في بهو الفندق سوي سيدة تتحدث إلي موظف الاستقبال.

كانت تقول له: كلا.. أن صيغة البرقية لا غبار عليها.. «سأكون في فندق تيو، ألف قبلة».. ولكن التوقيع خطأ.. الاسم هو: بونسفوت جونز.. بونسفوت.

ونظرت فيكتوريا إلي السيدة من ركن عينها.

إذن فهذه هي زوجة الدكتور بونسفوت جونز؟ ليتها تستطيع أن تعهد إليها برسالة لريتشارد بيكر!!

ورأت فيكتوريا زوجة الدكتور مرة أخري في قاعة الطعام، ومرة ثالثة في الطائرة التي أقلتها إلي بغداد ولكنها لم تسنح لها قط فرصة للاتصال بها.

- ٢ -

قال بيكر: الحق أنني قلق علي هذه الصغيرة.

فقال الدكتو بونسفوت جونز وهو شارد الذهن: أية صغيرة؟

- فيكتوريا.

فقطب الدكتور ما بين حاجبيه وقال باهتمام:

- هذا صحيح.. الواقع أنك عدت أمس بدونها.

- لم يكن في نيتها العودة علي كل حال.. لأنها ليست فيرونيكا سافيل. آه.. هذا عجيب!! ولكن ألم تقل لي إن أسمها فيكتوريا؟

- أن اسمها فيكتوريا.. ولكنها لم تعرف قط الدكتور ايمرسون.. ولم تدرس في يوم ما تاريخ الأجناس البشرية.. كان هناك سوء تفاهم.

- هذا أمر يؤسف له.. الواقع أن شرود ذهني أصبح لا يحتمل، أصبحت لا أذكر ما يقال أمامي وأفقد الرسائل التي ترد إليّ.. ومن هنا ينشأ سوء التفاهم.

واستطرد بيكر مسترسلا مع تأملاته: قيل لي إنها خرجت مع شاب في سيارة ولم يرها أحد بعد ذلك وحقائبها لاتزال في الفندق ولم تكلف فيكتوريا نفسها عناء فتحها.. خاصة وأنها قضت عندنا عدة أيام وكانت في أشد الحاجة

إلي استبدال ثيابها.. يضاف إلي كل ذلك أنني كنت علي موعد معها لتناول الغذاء.. الحق أنني لا أكاد أفهم.. كل ما أرجوه الا يكون أصابها سوء.

- يخيل إلي أنك تزعج نفسك بلا مبرر.

- لقد اختطفوها مرة.. ومن المحتمل أن يكونوا قد اختطفوها مرة أخري. هذا أمر بعيد الاحتمال يا بني.. فالأمن والهدوء يسودان البلاد.

- ليتني فقط أذكر اسم ذلك الرجل الذي يعمل في شركة البترول!! اسمه ديكون؟ داكين؟.. شيء من هذا القبيل.

وصمت لحظة ثم استطرد قائلاً:

- هل يضايقك كثيراً يا دكتور أن أذهب إلي بغداد غدا؟

- غدا؟ ولكنك كنت هناك أمس.

- ولكني في أشد حالات القلق.

- لماذا كتمت الأمر عني يا ريتشارد؟ أي أمر؟

- لم أكن أعلم أنك مهتم بأمر الفتاة إلي هذا الحد، هذه هي المتاعب التي تنشأ عن اشتراك النساء في أعمال البعثة.. خاصة إذا كن علي شيء من الجمال.. هذه أول مرة أراك فيها تهتم بامرأة.

فاحمر وجه بيكر وقال: إنني لم أقع في حبها.. ولكني قلق عليها.. ويجب أن أذهب إلي بغداد.

- أذهب إذن.. وحبذا لو انتهزت الفرصة واحضرت معك الفؤوس التي نسيها السائق أمس.

ورحل بيكر في الفجر.. ووصل إلي بغداد في الساعة الثامنة صباحاً وقصد توا إلي فندق تيو وسأل عن فيكتوريا وعلم أنها لم تعد.

وقال له ماركوس: هذا غريب.. حقاً.. لقد وعدتني بأن تتناول العشاء معي

فأعددت لها مأدبة لا مثيل لها.

- هل أبلغت البوليس؟

- كلا.. أن ذلك قد يضايقها.. ومن المحقق أنه يضايقني كذلك.

ولم يجد بيكر صعوبة في معرفة عنوان داكين فذهب إليه في مكتبه.. ووجد أنه كان علي صواب حين عرفه من مجرد وصف فيكتوريا له.

سأله عما إذا كان قد رأي فيكتوريا فأجاب:

- أنها جاءت لمقابلتي أمس الأول.

- هل تستطيع أن تدلني علي عنوانها حاليا؟

- كل ما أعلمه أنها تقيم في فندق تيو.

- أن حقائبها هناك ولكنها اختفت.

فقطب داكين حاجبيه.

قال بيكر: إنها عملت معنا بضعة أيام في حفائر التل الأسود.

فهمت.. ولكن من سوء الحظ أن ليست لدي معلومات عنها.. أن لها أصدقاء في بغداد ولكني لا أعرفهم.

- الا يحتمل أن تكون في غصن الزيتون؟

- لا أظن ذلك.. في استطاعتك أن تسأل.

فنهض بيكر وهو يقول: علي كل حال، لن أغادر بغداد قبل أن أجدها.

ورمق داكين بنظرة تنم عن السخط وانصرف وعاد أدراجه إلي فندق تيو ووجد ماركوس في الصالة ووجهه يطفح بشراً فانتعشت أماله وهتف: هل عادت؟

- كلا.. ولكني علمت بنبأ قدوم مسز بونسفوت جونز.. أنها الآن في المطار، رغم أن الدكتور بونسفوت أكد لي أنها لن تحضر قبل أسبوع.

- أنه لا يذكر من التواريخ إلا ما يتصل بالعصور القديمة.. أما من نبأ عن فيكتوريا؟

فارتسم الحزن علي وجه ماركوس وأجاب:

- كلا.. وهذا أمر مزعج.. أنها فتاة ظريفة.. ومرحة.

فتنهد بيكر وأجاب:

- أظن أنه يحسن بي أن أنتظر مسز بونسفوت جونز لأقدم لها تحياتي.

- ٣ -

- أنت؟

كان صوت فيكتوريا يعبر عن كل ما يعتمل في نفسها من حقد وبغض.

ذلك أنها ما كادت تدخل الغرفة التي حجزت لها في فندق بابل حتي وجدت كاترين في انتظارها.

وأجابت كاترين بنفس الحقد:

- نعم أنا.. تمددي هنا فسيأتي الطبيب في التو واللحظة.

وكانت كاترين ترتدي ثياب الممرضات.. وكل حركاتها تدل علي أنها لا تنوي أن تدع فيكتوريا تغيب عن بصرها لحظة واحدة.

وتمددت فيكتوريا علي الفراش وهي تقول بصوت خافت.

- إذا قلت إن أدوارد في قبضة يدي فأنني أعني ما أقول.

فضحكت كاترين وصاحت:

ـ أدوارد؟ أيتها الإنجليزية البلهاء.. أن ادوارد لا يحب أحداً سواي.

ثم انحنت فوق الفراش وهتفت:

- لقد كرهتك منذ وقع بصري عليك لأول مرة.. أنني أبغضك.. أبغضك.. هل فهمت؟

فقالت فيكتوريا لتغيظها: المهم.. أنه لا غناء له عني.. أما أنت فأنك مجرد ممرضة.. تستطيع أي فتاة أخري أن تقوم بدورها.. أن كل شيء يتوقف عليّ أنا يا كاترين.

فهزت كاترين كتفيها وأجابت:

- يجب أن تعلمي أنه لا يوجد إنسان لا يمكن الاستغناء عنه.

- أنا ذلك الإنسان.. قولي المهم إنني أريد طعاماً ممتازاً يليق بسكرتيرة مليونير أمريكي.

- حسناً.. حكي طالما ذلك في استطاعتك.

وكانت إجابتها حافلة بالتهديد.. ولكن فيكتوريا لم تلق إليها بالاً.

- ٤ -

اقترب الكابتن كروسبي من مكتب موظف الاستقبال بفندق بابل وسأله: هل الآنسة جريتا هاردن في غرفتها؟

فأطرق الموظف برأسه وأجاب:

- نعم يا سيدي.. لقد وصلت من إنجلترا في التو واللحظة.

- أنها صديقة أختي.. هل لك أن ترسل بطاقتي إليها؟

وأخرج من جيبه بطاقة كتب عليها بضع كلمات ووضعها في غلاف.

وبعد فترة، عاد الخادم الذي حمل البطاقة وقال:

- إن الآنسة هاردن لا تستطيع استقبالك يا سيدي.. فإنها مصابة بمرض في حلقها، وتلازم الفراش.. أنها تنتظر الطبيب ومعها إحدي الممرضات. فانصرف الكابتن كروسبي، وقصد إلي فندق تيو، وهناك بادره ماركوس قائلاً:

- إنني أدعوك لتناول بعض الويسكي.. أن الفندق حافل بالنزلاء بسبب المؤتمر، وقد اضطررت إلي التخلص من أحد موظفي الأمم المتحدة لكي

أفسح مكاناً لمسز بونسفوت جونز.. أنها جد غاضبة لأنها لم تجد زوجها في انتظارها.. الواقع أن الدكتور رجل ظريف ولكنه كثير النسيان.

- أن انطباعي عن بغداد الليلة أنها تعيش فترة جنون.

- هذا صحيح.. ويبدو أنهم اكتشفوا مؤامرة ضد بعض أعضاء المؤتمر.. وقد ألقو القبض علي خمسة وستين طالباً.

- ٥ -

دق جرس التليفون، فتناول سكرتير السفارة السماعة وقال:

- هنا السفارة الأمريكية.

- هنا فندق بابل.. الآنسة هيلين شيل موجودة بالفندق.

- الآنسة هيلين شيل؟

ـ هل استطيع التحدث إليها.

- أنها مريضة في فراشها، وأنا الدكتور سمولبروك طبيبها.. تقول الآنسة إن معها وثائق هامة تريد تسليمها إلي مسئول في السفارة.. هل ستوفد إليها رسولا؟.. الآن؟

ـ حسناً.. أنها في الانتظار.. شكراً.

- ٦ -

أرتدت فيكتوريا ثوباً أنيقاً، ونظرت إلي نفسها في المرأة.. ووجدت شعرها الأسود مقبولاً.. وفجأة نظرت خلفها فرأت كاترين تتأملها بعينين تتألقان سروراً، فأحست بالدهشة والقلق وسألتها:

- ما سبب اغتباطك؟

- ستعلمين في التو واللحظة.

وكان صوتها مليئاً بالاحتقار.

واستطردت قائلة:

- أمازلت تعتقدين أن كل شيء يتوقف عليك؟ يا لك من حمقاء!!

فانقضت عليها فيكتوريا ونشبت أظافرها في كتفيها وهي تصيح:

- أوضحي أيتها الشقية.. ماذا تعنين؟

- دعيني.. أنك تؤلمينني.

- تكلمي.

وفي هذه اللحظة.. دق الباب ثلاث مرات بطريقة خاصة فقالت كاترين وعيناها تتألقان:

- ستعلمين الآن كل شيء.

وفتح الباب ودخل رجل طويل القامة يرتدي ثياب البوليس الدولي.

وأغلق الرجل الباب ووضع مفتاحه في جيبه وقال يحدث كاترين:

- هلمي.. يجب أن نعمل بسرعة.

فجلست كاترين علي أحد المقاعد، وشد الرجل وثاقها جيداً وكمم فمها.. ثم وقف منها علي بعد خطوتين وتأملها وقال: هذا رائع.

ثم تحول إلي فيكتوريا فرأت هذه والرعب يملأ قلبها أن في يده مطرقة.

وباسرع من ملح البصر فهمت كل شيء.

فهمت أنه لم تكن هناك حقاً أية نية لجعلها تقوم بدور هيلين في المؤتمر.. أن قيامها بهذا الدور كان ينطوي علي خطورة شديدة.. لأن الكثيرين في بغداد يعرفونها شخصياً بصفتها فيكتوريا جونز.

لذلك تفتقت أذهانهم عن فكرة أفضل.. هي أن تقتل هيلين شيل في آخر لحظة ويشوه وجهها بحيث لا يتعرف عليها أحد.

وهكذا تكتشف جثة هيلين شيل في غرفتها، وتكتشف معها الوثائق التي

جاءت بها.. وهي بطبيعة الحال وثائق زائفة اصطنعها أعوان أدوارد.

وتقدم منها الرجل وعلي شفتيه ابتسامة وحشية فاندفعت نحو النافذة وهي تصرخ.

وسمعت فيكتوريا صوت زجاج يتحطم.. واحست بضربة تزلزل كيانها.. وفقدت الوعي.

- ٧ -

تناول داكين السماعة وقال: إنني مصغ.

- انتهت العملية بنجاح تام.

- حسناً.

- اعتقلنا الطبيب وكاترين سركيس، وفر الرجل الآخر من النافذة.. ولكنه اعتقل عند باب الفندق.

- هل جرحت الفتاة؟

- كلا.. اصيبت بضربة.. وأغمي عليها..

- هل ثمة أنباء عن هـ . ش الحقيقية؟

- كلا.

فوضع داكين السماعة.

لقد نجت فيكتوريا.. وهذا أمر له أهميته.. أما هيلين شيل.. فلابد أنها ماتت.. لقد أصرت علي أن يدعوها وشأنها.. ووعدت بأن تكون في بغداد يوم ١٩.. واليوم هو التاسع عشر.. ولم تظهر.. أن.. اختفاءها سوف يضعف قضيته.. لأنه كان يعتمد عليها كل الاعتماد في اماطة اللثام عن ركن هام من أركان المؤامرة الرهيبة التي تستهدف إشعال حرب بين القوتين الاعظم لا تبقي ولا تذر.

ودخل الخادم وقدم إليه ورقة عليها اسم ريتشارد بيكر ومسز بونسفوت جونز.

وقرأ داكين الاسمين وقال في ضيق:

- قل لهما إنني آسف.. ولا أستطيع استقبالهما.

فانصرف الخادم وعاد بعد لحظة وبيده رسالة وفض داكين الغلاف ووجد قصاصة كتب عليها هذه الكلمات:

«أو أن أحدثك عن كارمايكل».

قال: دعهما يدخلان.

ودخل الزائران، وجلسا، وتحدث بيكر في الموضوع مباشرة.. قال:

- سأتكلم بإيجاز اقتصاداً للوقت.. فقد أتفق أنني كنت زميلاً في الدراسة لشخص يدعي هنري كارمايكل ثم افترقنا، ومضت عدة أعوام لم نلتق خلالها.. ورأيته أخيراً بدار القنصلية البريطانية في البصرة وكان متنكراً في زي عربي، فعرفني واستطاع التفاهم معي.. فهل يهمك هذا الموضوع؟

- إلي أقصي حد.

- لقد فهمت منه أنه في خطر وبعد بضع دقائق حاول رجل إطلاق الرصاص عليه، ولكني جردته من مسدسه، وتمكن كارمايكل من الفرار.. ولكني لاحظت فيما بعد، أنه دس في جيبي ورقة يبدو من ظاهرها أن لا أهمية لها.. ولكني قررت أن أتصرف كما لو كانت لهذه الورقة كل الأهمية بالنسبة إلي كارمايكل، واحتفظت بها علي أمل أن يعود كارمايكل ذات يوم للمطالبة بها.. ولكني علمت من فيكتوريا جونز منذ أيام أن كارمايكل لقي مصرعه، وفهمت من ملابسات أخري أنه إذا كان هناك إنسان من حقه أن يحصل علي الورقة فذلك الإنسان هو أنت. ها هي الورقة.

قال ذلك ووضع الوثيقة علي مكتب داكين.. واستطرد قائلاً:

- هل لديك أية اهمية.

- أنها أهم مما تتصور يا بيكر.. وأنا لا أعرف كيف أشكرك.. وقد كنت أود أن يطول هذا اللقاء. لولا أن لدي من المهام البالغة الخطورة ما يمنعني من أن أضيع دقيقة واحدة.

وشد علي يد بيكر، وقال وهو يصافح مسز بونسفوت جونز:

- لاشك أنك ستلحقين بزوجك العظيم في حفائر التل الأسود؟ أنني أتمني لبعثته كل نجاح وتوفيق.

فقال بيكر:

- من حسن الحظ أن الدكتور بونسفوت جونز لم يحضر معي إلي بغداد اليوم، أنه عادة لا يلاحظ شيئاً مما يدور حوله، ولكن من المحقق أنه كان سيلاحظ وجود بعض الفوارق والاختلافات بين زوجته وشقيقتها.

فبهت داكين، ونظر إلي مسز بونسفوت جونز، التي قالت بصوت رقيق:

- إن أختي أيلزا لا تزال في إنجلترا، وقد صبغت شعري واستخدمت جواز سفرها.. أن مسز بونسفوت جونز قبل زواجها كانت تدعي ايلزا شيل.. أما أنا يا مستر داكين فإنني هيلين شيل.

***

اليورانيوم



لم تشهد شوارع بغداد من رجال الشرطة مثل العدد الذي شهدته يوم افتتاح المؤتمر.

وفي إحدي قاعات قصر نائب الملك، اجتمعت إحدي لجان المؤتمر لاستعراض الأخطار التي تهدد السلام العالمي.

وافتتح الجلسة الدكتور آلان بريك مدير معهد الذرة في هارديل، فألقي كلمة موجزة مؤيده بالوثائق، تحدث فيها عن عينات التربة التي أحضرها السير روبرت كروفتون لي من الصين وتركستان وكروستان والعراق وأثبت التحليل أنها غنية بمعدن اليورانيوم.

ثم تكلم داكين، فروي قصة كارمايكل.. الرجل الذي لم يسخر من الشائعات القائلة بوجود بضائع هائلة في مناطق مهجورة بعيدة عن الحضارة والعمران، فخاطر بحياته للتحقق من صحة هذه الشائعات.

ثم قال: لقد ذهب كارمايكل.. وذهب السير روبرت كروفتون لي.. ولكن بقي شخص يستطيع أن يميط اللثام عن حقائق مذهلة.. فأرجو أن تصغوا إليه.. أنه الآنسة هيلين شيل.

وبهدوء ورباطة جأش، تكلمت هيلين شيل كما كانت تتكلم في مكتب مورجنتال، فذكرت أسماء وأرقاماً وأوضحت كيف استطاعت إحدي المنظمات أن تستنزف مبالغ جسيمة من شتي أنحاء العالم لتمويل مشروعاتها التي تهدف

إلي بذر الشقاق بين كتلتين من الدول وتأليب كل منهما علي الأخري لاشعال نار حرب عالمية مدمرة.

وعقب داكين علي حديثها فقال إن كارمايكل قد جاء بالأدلة ولكنه لم يحتفظ بها معه خوفاً من أن تقع في أيدي أعداء كان يعلم أنهم يترصدونه في كل ركن.. وانما تركها وديعة لدي واحد من أصدقائه.. هو الشيخ حسن الزيارة، من كبار علماء المسلمين في كربلاء.

ونهض الشيخ الوقور حسن الزيارة، فقال إنه عرف كارمايكل منذ كان طفلاً، وعلمه قواعد اللغة، وشرح له الكثير من قصائد الشعراء القدامي والمحدثين.. ثم حدث منذ بضعة أسابيع أن جاءه رجلان يعرضان صوراً في صندوق، وقدما إليه حزمة صغيرة قالا إنها من لدن كارمايكل، وأن هذا الأخير يطلب إليه أن يكتم أمرها ويحتفظ بها فلا يسلمها إلا لمن يقول بيتا معيناً من الشعر.

وهنا قال داكين:

- إنه بيت قاله أحد الشعراء في مدح سيف الدولة أمير حلب.

فابتسم الشيخ وقال: هو ذاك.. إليك الحزمة.

فقال داكين وهو يتناول الحزمة: إن في هذه الحزمة مجموعة من الأفلام سجل فيها كارمايكل صور المصانع التي شهدها.. والرأي عندي أن يقدم محضر هذه الجلسة وصور من وثائق كارمايكل وهيلين شيل إلي رؤساء الوفود التي تشترك في المؤتمر.

***

مصرع فتاة



قالت فيكتوريا: ليس هناك ما يؤلمني ويحز في نفسي سوي مصرع الفتاة الدنمركية المسكينة التي لقيت حتفها في دمشق.
فأجاب داكين وهو يبتسم:
- تعنين الآنسة جريتا هاردن؟ أنها لاتزال علي قيد الحياة وتتمتع بصحة جيدة، ولم يكن هناك خطر علي حياتها طوال فترة انعقاد المؤتمر لقد نقلناها إلي المستشفي واعتقلنا المرأة الفرنسية التي كانت تتنكر في زي راهبة.

ولعل من تحصيل الحاصل أن أقول لك إن جريتا هاردن تعمل معنا.

- أحقا تقول؟ نعم.. لقد رأينا بعد اختفاء هيلين شيل أن نضلل خصومنا.. فحجزنا مكاناً في الطائرة لجريتا هاردن، وأحطناها بالغموض، وزودناها بأوراق مزيفة لإيهام الخصوم بأنها هيلين شيل، ونجحت الحيلة.

- هل صحيح أنني كنت تحت حراسة أعوانك طوال الوقت؟

- نعم.. والواقع أننا ارتبنا في نشاط ادوارد قبل أن يغادر لندن، ولما رويت لي قصتك عقب مصرع كارمايكل.. لم أجد وسيلة للمحافظة علي حياتك أفضل من الحاقك بالعمل معي.. وكان رأيي في ذلك أن ادوارد متي عرف صلتك بي، فإنه سوف يبقي عليك ليضللنا بالمعلومات الزائفة التي يفضي بها اليك وهو

يعلم أنك ستنقلينها إلينا.

ولكن موقفه حيالك تغير تماماً حين وجد أنك قد اكتشفت أن أحد أعوانه انتحل شخصية السير روبرت فقرر تصفيتك.

- أنني أشعر برعدة كلما فكرت في المأزق الذي تورطت فيه.

فابتسم داكين وقال: في استطاعتك الآن أن تطمئني.. فقد اعتقلنا أدوارد وأعوانه جميعاً. - والدكتور راتبون؟

- أنه انصاع لادوارد خوفاً من الفضيحة.. ولكنه اعترف بالاختلاس، وعبر عن أسفه واستعداده للتكفير عن أخطائه.

- أعلم أنه ليس من حقي أن أسأل.. ولكن أريد أن أعرف هل أوفدت من أخذ شملة كارمايكل؟

- كانت الشملة مثمرة للوثيقة التي دسها كارمايكل في جيب ريتشارد بيكر.. ففي الشملة وجدنا اسم الشيخ حسن الزيارة، وفي الوثيقة وجدنا كلمة السر.. أو بيت الشعر الذي بمقتضاه أعطانا الشيخ حزمة الأفلام.

- أليس من المصادفات العجيبة أن يكون نصف السر معي، ونصفه الآخر مع ريتشارد بيكر؟

فابتسم دايكن وقال: بهذه المناسبة.. هل لي أن اسألك ماذا في نيتك أن تفعلي الآن؟ سابحث عن عمل.. وبسرعة.

- لا تجهدي نفسك في البحث.. يخيل إليّ أن هناك عملاً في انتظارك.

وتركها ومضي، وعلي شفتيه ابتسامة غامضة.

وما هي إلا لحظة حتي أقبل بيكر وجلس في المقعد الذي تركه في التو واللحظة..

قال: اصغي إليّ يا فيكتوريا.. لقد علمنا أن فيرونيكا سافيل أصيبت بمرض يمنعها من القدوم.. فهل تعودين أنت للعمل معنا؟

- أتريدونني حقاً؟
- سنكون سعداء إذا وافقت.
- أنني أوافق بكل سرور.
- إذا لم يبق إلا أن تعدي حقائبك.. هلمي بنا.
- قال الدكتور بونسفوت حالما رآها: أهذه أنت يا فيرونيكا؟ لقد أصيب ريتشارد بخبل بعد رحيلك.. ولكن شيئاً قد انتهي الآن.. وأني لأرجو لكما السعادة والتوفيق.

فنظرت فيكتوريا إلي ريتشارد.. ونظر ريتشارد إليها وأحمر وجههما.

تمت